

السيرة النبوية للرسول

للأطفال

مكتبة الصف

الشيخ
عبد الرحمن بن
عبد الوهاب
العثماني
أبو عمار

على الله عونه وسام

سيرة الرسول

للأطفال



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في خلقه
وآثاره دلائل على عظمته
وآلاءه على عباده

الرسول محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في خلقه
وآثاره دلائل على عظمته
وآلاءه على عباده

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

للأطفال

الشيخ

مكي بن عبد الرحمن
القصبي

أبو عمار



مكتبة الصفاء للنشر والتوزيع

تلفون: ٢٥١٧٢٢٠ - ٢٥١٧٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصه فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابتة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له. والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة

مقدمة الناشر

الكريمة الراشدة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيته المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها في توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائماً، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم ذرة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب **«سيرة الرسول ﷺ للأطفال»** لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال

بلغة عصرية جميلة .

يعلمهم فيه أصول دينهم ، عن طريق القصص
والحكايات .

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة
التي تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول
رجال المستقبل .

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى
كافة المجالات ، التي نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا
قبولاً حسناً وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين .
إنه نعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مكتبة الأصفى

جعلها الله منارة لخدمة العلم والدين

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

أَعْمَالِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١﴾ .

أما بعد:

فإن الذي يحب أحداً من البشر فإنه يحب أن يسمع سيرته دائماً ويتمنى أن يعرف كل تفاصيل حياته... فكيف بمن يحب رسول الله ﷺ .

حبايبي الحلويين: لا شك أننا جميعاً نحب رسول الله ﷺ ونتمنى أن نعرف سيرته العطرة كاملة من بدايتها إلى آخر لحظة في حياته ﷺ .

ومن أجل ذلك كتبت هذا الكتاب لحبايبي الحلويين من أجل أن يعرفوا كل شيء عن سيرة الحبيب ﷺ .

ولكن لا بد أن نعلم أننا لا نتعلم سيرة الرسول ﷺ على أنها مجرد قصة نتسلى بها ولكن لتأسى بالنبي ﷺ في كل أقواله وأفعاله ولنجعل حياتنا كلها لنشر هذا الدين

(١) سورة الاحزاب: الأيتان: (٧٠، ٧١) .

العظيم كما كان يفعل النبي ﷺ .
والآن أترككم جميعاً لتستمعوا بأطيب وأجمل سيرة
في الكون كله . . . ألا وهي سيرة الرسول ﷺ .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الفطار

عمو / محمود المصري

أبو عمار

ومن هنا كانت البداية

حيايى الحلوين: وقبل أن نبدأ فى سرد سيرة الرسول ﷺ تعالوا بنا لنعرف حالة المجتمع الجاهلى قبل بعثة النبى ﷺ لنرى كيف جاء النبى ﷺ إلى الكون فأنازل الله به الصدور المظلمة وهدى به القلوب الضالة وأنقذ به البشرية وأخرجها من الظلمات إلى النور فقد أرسله الله (عز وجل) رحمة للعالمين .

حالة المجتمع الجاهلى قبل بعثة الحبيب ﷺ

لقد كان المجتمع الجاهلى قبل بعثة النبى ﷺ فى أسوأ حالة شهدتها التاريخ حتى قال النبى ﷺ واصفًا هذه الفترة: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم

وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»^(١).

فكان من جملة العادات السيئة التي كانت منتشرة في أرض الجزيرة قبل الإسلام:

(١) شرب الخمر:

فقد كانوا يشربون الخمر كثيراً في مجالسهم وندواتهم وبيوتهم وكانوا يتباهون بذلك.

(٢) القمار المعروف بالميسر:

وهذه عادة سكان المدن في الجزيرة كمكة والطائف وصنعاء ويثرب وغيرها.

(٣) وأد البنات:

فقد كان الرجل يدفن ابنته بعد ولادتها مباشرة حية في التراب خوفاً من العار.

(٤) قتل الأولاد:

فقد كانوا يقتلون الأولاد مطلقاً ذكوراً كانوا أو إناثاً.. وذلك عند وجود الفقر أو المجاعة أو حتى عند الخوف من

^(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

حدوث فقر شديد أو قحطٍ شديد. **(٥) تبرج النساء:**

فقد كانت المرأة تخرج كاسية عارية كاشفة عن محاسنها أمام الرجال. **(٦) العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء:**

وذلك بالاتصال بينهم وتبادل الحب في السر والوقوع في الفواحش التي حرمها الله (جل وعلا). **(٧) شن الحروب على بعضهم البعض:**

فقد كانوا يشنون الحروب على بعضهم البعض من أجل السرقة والسلب والنهب. وكانت الحروب تجرى بينهم من أجل أتفه الأسباب.

١) سورة الأنعام: الآية: (١٥١).

٢) سورة الإسراء: الآية: (٣١).

فربما قامت الحرب بينهم بسبب ناقة أو بسبب أن
حصاناً سبق الآخر أو بسبب بئر ماء أو غير ذلك .
وكانت الحروب تستمر بينهم لسنوات طويلة مثل حرب
البسوس وداحس والغبراء وحرب بُعات وحرب الفجار .

(٨) عبادة الأصنام؛

فقد كانوا يتاجرون في الأصنام بل ويعبدونها من دون
الله (جل وعلا) وكانت الأصنام منصوبة حول الكعبة . . .
وكان من أشهرها: (اللات - والعزى - ومناة - وهبل -
وإساف - ونائلة) .

* فهذه بعض العادات السيئة التي كانت منتشرة في
أرض الجزيرة قبل بعثة النبي ﷺ .



العادات الحسنة التي كانت في المجتمع الجاهلي

ومع تلك الجاهلية التي كان يعيش فيها المشركون إلا أنه كانت هناك باقة عطرة من العادات الحسنة نُجملها فيما يلي:

(١) الصدق... والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عُرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً وتمتيناً.

(٢) قري الضيف وهو إطعامه، وهو من الكرم الذي يُحمد صاحبه عليه.

(٣) الوفاء بالعهود وعدم نكثها ومهما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده قال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^(١) في بيان صفات

(١) سورة البقرة: الآية: (١٧٧).

المؤمنين من سورة البقرة.

(٤) احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها،

وعدم خفره مهما كانت الأحوال.

(٥) الصبر والتحمل.

(٦) الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة

وهي صفات امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، وأشعارهم

وأقاصيصهم شواهد ذلك.

(٧) احترام الحرم والأشهر الحرم، بعدم القتال فيها إلا

من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوى

سوابق فى الشر.

(٨) تحريمهم نكاح الأمهات والبنات.

(٩) اغتسالهم من الجنابة.

(١٠) المداومة على المضمضة والاستنشاق.

(١١) السواك والاستنجاء وتقليم الأظافر، ورتف الإبط.

(١٢) الحتان للأطفال، والخفاض للبنات.

(١٣) قطعهم يد السارق اليمنى.

(١٤) الحج والعمرة.

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عُرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام. وإنها وإن لم تكن عامة في كل فرد فإنها الطابع العام على غالبيتهم.

مكة تنهياً لاستقبال النبوة

لقد هيا الله (عز وجل) مكة من قديم الزمان لاستقبال النبي ﷺ ورسالته العظيمة. فقد دلّ الله (جل وعلا) خليله إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) على قواعد البيت ليرفعا تلك القواعد ويصبح ذلك البيت فيما بعد قبلة للنبي محمد ﷺ هو وأمه. وقبل ميلاد النبي ﷺ فإنه (سبحانه وتعالى) دلّ عبد المطلب جد النبي ﷺ على أصول بئر زمزم حتى حفرها واستخرجها.

• ولقد كان لعبد المطلب مكانة عالية عند أهل مكة حتى سلموا له في كل شيء.

قصة حفر زمزم

جبايي الحلوين: وما هي قصة حفر بئر زمزم كما
حكاهها عبد المطلب جد النبي ﷺ .
يحكى عبد المطلب أنه كان نائمًا في الحجر عند الكعبة
فأناه في المنام من يقول له: احفر طيبة. فقال عبد المطلب:
وما طيبة؟ فلم يُجبه بشيء وذهب عنه.
فلما كان في اليوم التالي نام في نفس المكان فأناه في
المنام من يقول له: احفر برة. فقال: وما برة؟ فلم يُجبه
بشيء وذهب عنه.
وفي اليوم الثالث نام في نفس المكان فأناه في المنام من
يقول له: احفر المذنونة؟ فقال: وما المذنونة؟ فلم يُجبه
بشيء، وذهب عنه.
وفي اليوم الرابع نام في نفس المكان فجاءه من يقول له
في المنام: احفر زمزم لتسقى الحجيج الاعظم.

ووصف له مكانها أنها فى المكان الذى سينقر فيه
 غراب جناحاه أبيضان عند قرية النمل .
 * فما كان من عبد المطلب إلا أنه أخذ ابنه الحارث ابن
 عبد المطلب وأخذ معه المعول (الفأس) وحفر فى نفس
 المكان الذى وقف فيه الغراب . . . وظل يحفر حتى وصل
 إلى حافة البئر فكبر وكانت قريش تراقبه فلما وجدوه يكبر
 علموا أنه وجد شيئاً ثميناً فلما اقتربوا ورأوا البئر قالوا له :
 يا عبد المطلب هذه بئر آينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً
 فأشركنا معك فيها .
فقال: ما أنا بفاعل . . . إن هذه البئر من حقى أنا
 وحدى .

فقالوا: لن نترك حتى تقسم البئر بيننا .
فقال لهم: اجعلوا بينى وبينكم حكماً يحكم بيننا .
فقالوا: نتحاكم إلى كاهنة بنى سعد . . . وكانت
 بأشراف الشام .
 * فخرج عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية . . .

وركب من كل قبيلة من قريش نفرًا . . . وكانت الأرض صحراء والمسافة طويلة فنقد الماء الذي مع عبد المطلب وأصحابه فطلبوا الماء من الذين حولهم فأبوا أن يعطوهم ماءً وقالوا: نحن بأرض صحراء ونخشى إن أعطيناكم الماء أن نهلك ونموت .

فقال عبد المطلب: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً، فقالوا: نعم ما أمرت به . فحفر كل رجل لنفسه حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه . . . والله إن انتظارنا للموت عجزٌ شديد . فتعالوا بنا لنرحل عسى الله أن يورقنا الماء ببعض البلاد .

فارتحلوا فلما قامت ناقة عبد المطلب انفجرت من تحت رجلها عين ماءٍ عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم

نزل فشرب وشرب أصحابه وسألوا أوعيتهم كلها ثم دعا كل القبائل وقال لهم: هلمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله . فجاءوا فشربوا، واستسقوا كلهم، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا، والله ما نخاصمك فى زمزم أبداً، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم» .

قصة نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه

وبعد المعاناة التى وجدها عبد المطلب من قريش فى قصة حفر زمزم نذر إن رزقه الله عشرة أولاد ليدافعوا عنه ويحموه أن يذبح أحدهم لله عند الكعبة . فلما رزقه الله عشرة أولاد وعرف أنهم سيدافعون عنه ويحمونه من الناس أخبرهم بنذره ودعاهم إلى أن يساعده فى الوفاء بهذا النذر فأطاعوه وقالوا له : ماذا نفعل؟

فقال: ليأخذ كل واحد منكم قدحًا ويكتب فيه اسمه... ففعلوا ذلك فأخذ منهم الأقداح ودخل بها على (هبل) وكان هو الصنم الذي يحتكمون إليه... وخرجت القرعة على ولده الأصغر (عبد الله).

وكان عبد الله أحب أولاده إلى قلبه... فماذا يصنع؟ هل يطيع أمر الآلهة أم ماذا يفعل؟

وبعد حيرة شديدة أخذ عبد المطلب ابنه وحبيبه عبد الله وقرر أن يذبحه فلما أخذ السكين وأراد أن يذبح ولده عبد الله (والد الرسول ﷺ) خرجت إليه قريش لتمنعه من ذبح ولده الصغير عبد الله حتى لا تصبح عادة للعرب بعد ذلك فيذبحوا أولادهم.

وأشاروا عليه أن يذهب إلى عرافة تدعى معرفة الغيب في أرض الحجاز ليستشيرها في هذا الأمر.

فانطلقوا حتى وصلوا إليها وأخبروها بالخبر فقالت: اذهبوا عني الآن حتى يأتيني تابعي فأسأله... فعادوا إليها في الغد فسألتهم: كم الدية فيكم؟ فقالوا: عشرة من الإبل.

فقال: ارجعوا إلى بلادكم وقربوا صاحبكم (عبد الله) وضعوا أمامه عشرة من الإبل ثم اضرَبوا عليها وعليه بالقدح فإن خرجت على الإبل فاذبحوها وإن خرجت عليه فزيدوا عشرًا من الإبل حتى تخرج القرعة على الإبل فاذبحوها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .
فعادوا إلى مكة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم قرب ابنه عبد الله وعشرًا من الإبل . وقام عبد المطلب عند (هبل) يدعو الله .

ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرًا من الإبل ؛ فبلغت الإبل عشرين .

..... - إلى أن قال - : وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل مئة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ؛ فقلت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث

مرات؛ فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد
المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا
الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو، فضربوا فخرج القدح
على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو
الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل.

* فبحروا الإبل وتركوها للناس ليأكلوا منها لا يمنعهم
منها أحد.

* وبهذا كتب الله النجاة لعبد الله الذي سيخرج من
صلبه أطهر إنسان عرفته الدنيا... ألا وهو الحبيب محمد
ﷺ.

* ولقد ذاع في البلاد قصة نجاة عبد الله من الذبح.
وأعادت هذه القصة إلى أذهان الناس ذكرى إسماعيل
(عليه السلام) جد العرب الذي نجاه الله من الذبح قبل
ذلك وفداه بذبح عظيم.

* وصارت قصة نجاة عبد الله من الذبح على كل
لسان يتحدث بها الناس في جلساتهم ومنتدياتهم.



زواج عبد الله من أمّنة بنت وهب

وبعد فترة من الزمن كَبُرَ عبد الله وبلغ سن الزواج فأراد أبوه عبد الله المطلب أن يُزوجه وأن يفرح به . . فاصطحبه إلى بنى زُهرة ليُزوجه من فتاة تُسمى أمّنة بنت وهب
وتم الزواج وشهدت قريش عرساً لم تشهده من قبل واختلقت فرحة نجاة عبد الله بفرحة زواجه من أمّنة بنت وهب .

* وبعد فترة قصيرة أخبرت أمّنة بنت وهب زوجها عبد الله بأجمل خبر كان يتمناه أخبرته بأنها حامل . . . ففرح بذلك فرحاً شديداً . . . ولكنه لم يعلم أنه لن تكتمل فرحته فقد خرج في مناكب الأرض بحثاً عن لقمة العيش وذهب في رحلة الصيف إلى الشام فمرض في الطريق ووافته المنية فمات في طريق العودة .

وكانت آمنة بنت وهب تنتظر زوجها عبد الله لتكتمل
سعادتها ولكن سرعان ما وصل إليها خبر موته ففاضت
دموعها على خديها ولم تكن تتخيل أن تفقد زوجها بهذه
السرعة.

* لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك
هذه النسمة الطاهرة، وكان القدر يقول له: قد انتهت
مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل
بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية
من الظلمات إلى النور.

* * *

قصة أصحاب الفيل

كان ياما كان .

كان هناك رجل اسمه أبرهة . . . وكان أبرهة الحبشى
قد كلفه حاكم الحبشة النجاشى بأن يكون أميراً على
صنعاء (فى اليمن) .

وكان أبرهة نصرانياً . . . وكذلك كان النجاشى حاكم
الحبشة .

وكان يسمع كثيراً عن الكعبة وبيت الله الحرام . .
وأن العرب يحجون إلى هذا البيت ، فامتأ قلبه حقداً
على العرب وجلس مع نفسه يفكر كيف يصرف العرب
عن هذا البيت ؟

وبعد تفكير عميق هداه شيطانه إلى أن يبنى كنيسة
كبيرة فى صنعاء سماها «القُلَيْس» لم يرَ الناس مثلها فى
زمانهم .

ثم كتب إلى النجاشي حاكم الحبشة قائلاً له: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك أبداً. . . وإني لن أهدأ أبداً حتى أصرف إليها حج العرب بدلاً من أن يحجوا إلى الكعبة.

* وكان أبرهة الحبشي قد سخر أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيسة وسخرهم فيها أشد أنواع التسخير.

وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة.

وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة وركب فيها صلباناً من ذهب وفضة. وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً.

* ولكنه رأى أن العرب لا تتجه إلا إلى البيت العتيق، ورأى أهل اليمن أنفسهم يدعون البيت الذي بناه، وينصرفون إلى مكة؛ . . . واشتد غيظ العرب، واشتعلت

نيران الحقد في نفوسهم فقام رجل من كنانة فخرج من أرضه حتى وصل إلى صنعاء ودخل الكنيسة في وقت لم يكن فيها أحد وقضى حاجته في الكنيسة وترك فيها تلك النجاسات وخرج.

فلما علم أبرهة بذلك، غضب غضباً شديداً وقال: من صنع هذا؟

فقبل له: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجُّه العرب بمكة لما سمع بقولك: إنك تريد أن تصرف حجَّ العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فأحدث فيها. فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه.

ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت.

ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا به وراوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم

يقال له ذو نفر .
 فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب
 أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه
 وإخراجه . فأجابه من أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له
 فقاتله .
 فهُزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأتى به
 أسيراً .

فلما أراد قتله قال له ذو نفر: يا أيها الملك لا تقتلني فإنه
 عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من القتل . فتركه
 ولم يقتله وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً .
 * ومضى أبرهة في طريقه يريد هدم الكعبة .

ولما وصل إلى أرض (خثعم) ، خرج له رجل اسمه
 نُفيل بن حبيب الخثعمي ومعه رجال أقوياء من قبيلة خثعم
 "وهما: شهران وناهس" مع جماعة أخرى من قبائل
 العرب ، فقاتلوا أبرهة الحبشي ، فهزمهم أبرهة وأخذ نُفيل
 ابن حبيب أسيراً .

فلما أراد قتل تُفيل، قال له تُفيل: أيها الملك! لا تقتلني، فإني سأعمل معك وسأكون لك دليلاً في أرض العرب أدلك على الطريق. فتركه أبرهة وخلّى سبيله على أن يكون دليلاً له يُعرفه الطريق.

• فلما وصل أبرهة إلى بلاد الطائف، خرج إليه رجل اسمه مسعود بن معتب بن مالك ومعه جماعة من رجال ثقيف، فقالوا له: أيها الملك: إنما نحن عبيدك وسوف نكون طوعاً أمرك وسنرسل معك أيضاً من يدلك على الطريق إلى الكعبة... .

• وسار أبرهة حتى وصل إلى مكان اسمه (المغمس) فأرسل رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مفسود حتى وصل إلى مكة، فأخذ أموال تهامة من قريش وغيرهم وأخذ مائتي بعيرٍ لعبد المطلب بن هاشم (جدّ النبي ﷺ)... . وكان عبد المطلب كبير قريش وسيدهم.

فأرادت قريش وكنانة وهذيل ومن كان من الحرم أن

يقاتلوا أبرهة ولكنهم أحسوا بأنهم لن يقدرُوا عليه فتركوا ذلك .

*** وهناك بعث أبرهة رجلاً اسمه:** حناطة الحميري إلى مكة وطلب منه أن يسأل عن سيد أهل هذا البلد . . . وأن يخبره بأن أبرهة ما جاء ليقاتلهم وإنما جاء لهدم الكعبة، فإن تركوه يهدم الكعبة، فلن يتعرض لهم . . . وإن تعرضوا له فسوف يقتلهم .

ثم قال له أبرهة: فإن وجدت سيد أهل مكة لا يريد حربى فأتى به، فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم .

فجاءه فقال له: ما أمره به أبرهة .

فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام .

فإن كان الله (عز وجل) سيحفظ بيته ويحميه من أبرهة فهو بيته وحرمه وإن يترك أبرهة يهدمه فليس عندنا

أحد يستطيع أن يمنع أبرهة.

﴿ فقال له حناطة: انطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه

بك.

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى وصل إلى جيش أبرهة، فسأل عن (ذى نفر)؛ لأنه كان صديقاً له، فعلم أنه محبوب عند أبرهة، فلما دخل عليه قال له: يا ذا نفر هل عندي حيلة نتخلص بها من أبرهة؟

فقال ذو نفر: وهل أملك أى حيلة وأنا رجل أسيرٌ عنده أنتظر أن يقتلنى فى أى وقت... لكنى أعرف شاباً طيباً اسمه: أنيس وهو سائس الفيل، فسوف أرسل إليه وأوصيه بك وأعرفه قدرك ومكانتك وأطلب منه أن يستأذن لك لتدخل على أبرهة وتكلمه وسأجعله يشفع لك عند أبرهة بخير إن استطاع.

فقال عبد المطلب: يكفينى هذا يا صديقى.

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة، يطعم الناس بالسهل والوحوش فى

رءوس الجبال، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت .

قال: أفعل .

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك! هذا سيد قريش

ببائك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذي
يُطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال، فائذن
له عليك، فليكلمك في حاجته، فأذن له أبرهة قال: وكان
عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه
أبرهة أجلّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة
يُجلسه معه على سرير مُلكه .

فتزل أبرهة عن سريريه، فجلس على بساطه وأجلسه
معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما
حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان . . . فقال: حاجتي أن
يرد عليّ الملك ماتى بعير أصابها لى، فلما قال له ذلك،
قال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كنت أعجبتني حين
رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني .

أتكلمني في ماتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو

دينك ودين آباتك قد جئت لأهدمه، لا تكلمنى فيه؟
فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً

يحميه.

فقال أبرهة: لا يستطيع أحدٌ مهما كان أن يحمى البيت
 منى أبداً.

فقال عبد المطلب: أنت وما تريد.

وهنا أمر أبرهة جنوده فردوا على عبد المطلب مائتى بعير.

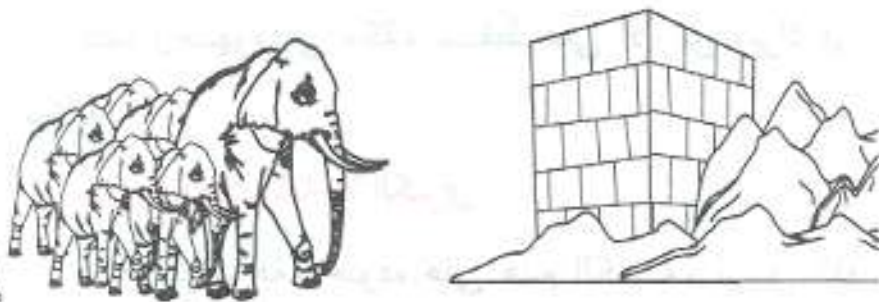
* فلما خرج عبد المطلب، ذهب إلى قريش وأخبرهم

الخبر وأمرهم أن يخرجوا فوراً من مكة وأن يتحصنوا فى

رهوس الجبال.

* ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة وقام

معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويطلبون منه النصر على



أبرهة وجنده .

* فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة وهياً فيه المرعب وجيشه الكبير وكان اسم الفيل : (محمود) .

فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام وأرسل أذنه . فبرك الفيل . . . أى: سقط على الأرض .

* وهنا خرج نفيل بن حبيب يجرى حتى صعد الجبل .

وأما أبرهة وجنوده فقد ضربوا الفيل؛ ليقوم من مكانه؛ فأبى فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى .

فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ويجرى . . .

ووجهوه إلى المشرق، فقام يهرول ويجرى .

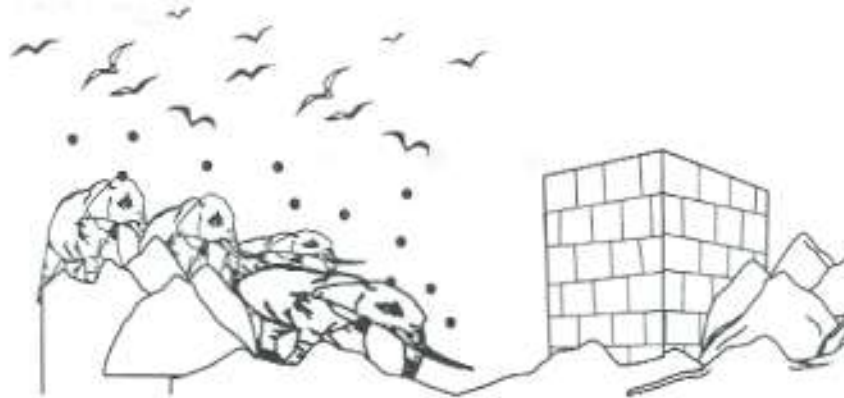
فلما وجهوه إلى مكة، سقط على الأرض وبرك في مكانه .

*** وهنا كانت المفاجأة الكبرى .**

لما أصر أبرهة وجنوده على هدم الكعبة، أرسل الله

عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف . . . مع كل طائر منهم ثلاثة حجارة يحملها . . . حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا أهلكته .

فخرجوا هاربين مرعوبين يبحثون عن الطريق ويسألون عن نُفيل بن حبيب؛ ليدلهم على الطريق إلى اليمن .
 • وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به تسقط أنامله أنملة أنملة . . . كلما سقطت أنملة، اتبعتها منه مدة تسيل قيحاً ودمًا حتى وصلوا به إلى صنعاء، فانصدع صدره عن قلبه حتى مات .



* وأما أبو رغال الذي بعثته قبيلة ثقيف مع أبرهة ليذله على الطريق إلى مكة، فقد مات في الطريق بمكان يقال له: (المغمس) فكان العرب يرمون قبره بالحجارة بعد موته.

* وأما قائد الفيل وسائسه فقد أعمى الله أبصارهما فكانا يجلسان في الطرقات بمكة يسألون الناس الطعام والشراب.

* وهذا كله جزاء من تعرض لهدم بيت الله الحرام. فلقد حمى الله بيته الحرام؛ لأنه سيكون قبلة لسيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذي وكد في نفس العام (عام الفيل).



ميلاد النبي ﷺ

كان أهل الكتاب يتحدثون فيما بينهم كثيراً عن أن نبياً قد اقترب ظهوره . . . وقد كان الرسل فيما مضى يتابعون ولا يكاد الناس يعيشون في عصر من العصور بلا نبي أو رسول .

ولكن الأمر تغير بعد عيسى (عليه السلام) فقد مرّ حوالي ستمائة عام من بعد رفعه إلى السماء ولم يأت نبي جديد . . . فكان الكل ينتظر قدوم النبي الجديد . . . وبخاصة بعد أن امتلأت الأرض بالمفاسد والضلالات فقد ازدادت الحاجة إلى مبعث نبي آخر الزمان ﷺ .

* وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وُلد الحبيب المصطفى ﷺ في دار أبي طالب بشعب بني هاشم وذلك في عام الفيل . فكان ميلاده بمشابهة الشمس التي أضاءت الكون كله بنور الإيمان والتوحيد .

* ولكي تعرف أن النبي ﷺ هو نور أرسله الله للكون كله ليتبرق قلوبهم بنور الإيمان فلقد رأت أمه آمنة حين ولدته نوراً يخرج منها أضواءت منه قصور الشام .

قال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أمي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضواءت منه قصور الشام»^(١) .

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٢) .

وبشرى عيسى . كما أشار إليه قوله عز وجل حاكياً عن المسيح عليه السلام: ﴿ وَمِمَّنْشَرًّا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾^(٣) .

وقوله: «ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضواءت منه قصور الشام» .

(١) صحيح: رواه أحمد (١٦٧١٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥) .

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٢٩) .

(٣) سورة الصف: الآية: (٦) .

قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١).

استبشار عبد المطلب بميلاد حفيده المبارك

ولما وُلد النبي ﷺ كانت أول من أرضعته ثوية جارية عمه أبي لهب ثم أقبلت أمه آمنة بنت وهب عليه وضمته إلى صدرها الحنون.

وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، وأم أيمن هذه كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، فلما ولدت آمنة محمداً ﷺ بعدما توفي أبوه، كانت أم أيمن تحضنه

(١) سورة المائدة: الأيتان: (١٥-١٦)

حتى كبر النبي ﷺ فأعتقها ثم أنكحها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة، وقد توفيت بعدما توفي النبي ﷺ بخمسة أشهر.

* المهم أنه لما وُلد النبي ﷺ أرسلت أمه آمنة إلى جده عبد المطلب لتبشّره بقدم حفيده فجاء مستبشراً وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله وشكر له وقال: سأسميه محمداً حتى يحمده أهل السماء وأهل الأرض وكانت فرحته شديدة بقدم النبي ﷺ فقد كان يرى في مقدمه عوضاً عن ابنه عبد الله الذي مات في ريعان الشباب.

* وأعدت الموائد وعمّت الأفراح فقد كانت فرحة الناس بقدم النبي ﷺ فرحة كبيرة فهو ابن الذبيحين: إسماعيل جده الأكبر وعبد الله والده... وكان النبي ﷺ سبياً في نشر السعادة في هذا الكون منذ أول لحظة جاء فيها إلى هذا الكون.



قصة رضاع الحبيب ﷺ

لقد كان من عادة العرب في هذا الزمان أن الطفل إذا وُلد فإنهم يرسلونه إلى البادية في الصحراء ليقضى مدة الرضاعة هناك فينشأ قوياً شديداً فصيحاً في اللغة العربية عالماً بفنون الرمي بالرمح والنبل.

فكانت الأم إذا ولدت فإنها ترسل وليدها إلى إحدى المرضعات في البادية لترضعه وتربيته ثم تعيده إليها مرة أخرى.

❖ وفي هذا العام حدث جَدْبٌ وقحطٌ شديدٌ في بادية بني سعد بن بكر فقد انقطع عنها المطر منذ شهور حتى أصيبت الأرض بالجفاف وأصبحت أكثر الأغنام هزيلة ضعيفة.

❖ فجاءت مجموعة من النساء من بني سعد بن بكر من أجل أن تحصل كل واحدة منهن على طفلٍ من بيتٍ غني حتى تُرضعه وتحصل على المال الذي يعرضها عن

خسارة الجذب والجفاف الذي حلَّ ببلادهم .
 * وكان من بين هؤلاء النسوة حليلة السعدية التي
 خرجت لتبحث عن طفل من بيت غنى حتى ترضعه
 وتحصل على المال الذي يعرضها عن تلك الخسائر .
 وكانت حليلة تركب على حمارة هزيلة ضعيفة لا
 تستطيع المشي إلا ببطء شديد . فكان ذلك سبباً في أن كل
 النساء سبقنها إلى مكة وحصلت كل واحدة منهن على طفلٍ
 رضيع من بيتٍ غنى ولقد عرض النبي ﷺ على كل
 النساء فرفضن أن يأخذنه لأنه يتيم . . . فكانت كل واحدة
 تقول : إذا أخذت هذا الطفل اليتيم فمن الذي يعطيني المال
 ويكرمني بالهدايا .

* وأخيراً وصلت حليلة إلى مكة بعد عناءٍ شديد ولم
 تجد إلا النبي ﷺ فرفضت في بداية الأمر لأنه يتيم
 وخشيت ألا تجد من يدفع لها ثمن الرضاعة . . . وكانت
 حليلة تحمل في حجرها ابنها الصغير وتحاول أن تُرضعه
 فلم تجد في صدرها إلا لبناً قليلاً فقد تأثر جسدها بالجفاف

والقحط الذي حلَّ ببلادها.

• وكان النبي ﷺ في تلك اللحظة لم يرضع إلا

مرة واحدة من صدر ثويبة خادمة عمه أبي لهب...

واحتاج إلى أن يرضع مرة أخرى.

وفجأة سمعوا طرقاً على الباب فقد عادت حليلة

لتأخذ هذا الطفل اليتيم المبارك لترضعه لأنها لم تجد

غيره... وهي لا تعرف أنها ستُرضع أعظم طفل في

الكون كله.

• وأخذت حليلة هذا الطفل اليتيم المبارك محمد بن

عبد الله ﷺ... وعادت به إلى زوجها الذي كان قد جاء

إلى مكة بحثاً عن أي عمل فلم يجد... وكانت حليلة قد

أخبرته أنها ستأخذ هذا الطفل اليتيم عسى الله أن يجعل فيه

الخير والبركة... وحتى لا تعود بلا طفل تُرضعه فوافقها

على ذلك.

فلما عادت إليه وأخرجت ثديها لترضع النبي ﷺ

وكان صدرها منذ ساعات ليس فيه إلا لبنٌ قليل جداً حتى

إن طفلها لم يشبع - وجدت صدرها قد امتلأ باللبن الكثير فتعجبت... وأخذ النبي ﷺ يرضع حتى شبع... ثم قامت حليلة وأرضعت ابنها حتى شبع هو أيضاً.

وبعد لحظات قام زوجها إلى الناقة التي كانت معه فوجد ضرعها قد امتلأ باللبن بعد أن كان ليس فيه قطرة لبن... فحلبها وشرب هو وزوجته حليلة حتى شبعوا في تلك الليلة.

فقال لزوجته حليلة: والله لقد أخذنا طفلاً مباركاً وإن الله سيكرمنا بسببه غاية الإكرام.

• ولما حانت لحظة الرجوع إلى بادية بنى سعد قامت حليلة لتركب حمارتها الضعيفة الهزيلة وهي مشفقها عليها فقد زاد حملها طفلاً آخر... وإذا بها تجد أن الحمارة الضعيفة أصبحت قوية بل وسريعة... وبعد أن كانت النساء يسبقنها وهم في طريقهم إلى مكة وإذا بحليلة تسبقهم وهم في طريق العودة إلى بادية بنى سعد.

* **فتعجبت النساء وقلن لحليمة:** يا حليمة ما الذى

حدث لحمارتك فقالت: لقد حملت عليها غلامًا مباركًا.

* **وعادت حليمة إلى بادية بنى سعد.** وما زال

الجفاف والقحط يعم البلاد. . . فكانت تخرج بأغنامها

بحثًا عن المرعى فترجع وقد شبت أغنامها. . وترجع

أغنام الناس جياعًا.

* **فكانوا يقولون:** اذهبوا بغنمكم حيث تذهب أغنام

حليمة حتى تشبع. . . فيذهبون معها فى نفس المكان

فتعود أغنامها شباعًا وتعود أغنامهم جياعًا.

* **وبعد فترة قصيرة** نزلت الأمطار وخرج الزرع

والنبات وعمت البركة فى كل مكان بقدم هذا الطفل

المبارك.

* **وكان النبي ﷺ يَكْبُرُ بسرعة كبيرة.** . . فكان

يشب فى اليوم شباب الغلام فى الشهر ويشب فى الشهر

شباب الغلام فى السنة.

وما هى إلا ستان حتى صار هذا الطفل المبارك كأنه

غلام كبير حتى جاوز السادسة من عمره .
 وكانت حليلة قد أحبته حباً شديداً وكانت لا تتحمل
 فراقه أبداً . . . فقد كانت تحمله معها إلى المرعى الذي
 ترعى فيه أغنامها فإذا بأغنامها قد امتلأ ضرعها باللبن .
 * ولما بلغ النبي ﷺ سنتين أخذته حليلة إلى مكة
 وهى فى غاية الحزن لفراقه . . فلما وصلت إلى أمه آمنة
 قالت لها : والله ما رأيت صبياً أعظم بركة منه وإنى
 أخشى عليه من الأمراض التى تنتشر فى مكة فدعاه يبقى
 معى عاماً آخر وسأرده لك بعدها مباشرة . . . وبعد إلحاح
 شديد وافقت أمه على أن تأخذه حليلة مرة أخرى وعادت
 به حليلة إلى بادية بنى سعد وهى فى قِمة السعادة
 والسرور لرجوع النبي ﷺ معها مرة أخرى .



حادثة شق الصدر

وفى يوم من الأيام خرج النبي ﷺ ومعه أخوه من الرضاة - ابن حليلة السعدية - وذهبا ليلعبا سوياً ونسيا أن يأخذا طعاماً فقال النبي ﷺ لأخيه: اذهب واتنا بالزاد.

فذهب وأتى بالزاد... وبينما هما يلعبان إذ أقبل رجلان عليها ثياب بيض فأخذا النبي ﷺ فأضجعاه وشقاً بطنه يقول النبي ﷺ: «فشقاً بطني، ثم استخرجا قلبى، فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: اتنى بماء ثلج، فغسلا به جوفى، ثم قال: اتنى بماء برّد، فغسلا به قلبى، ثم قال: اتنى بالسكينة^(١)، فذراها فى قلبى، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة.

(١) السكينة: الطمأنينة والوقار.

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفاً من أمته في كفة، .. قال النبي ﷺ: «فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى، أشفق أن يخرَّ على»^(١) بعضهم، فقال الملك: لو أن أمته وُزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني»^(٢).

* فلما رأى ذلك أخوه فزع وخاف خوفاً شديداً وعاد إلى أمه حليلة مسرعاً وقد تغير لونه.

فقالت له أمه: مالك يا بُنى.

فحكى لها كل ما رآه... فخرجت حليلة هي وزوجها وهما في غاية الخوف على محمد ﷺ فوجداه قائماً قد تغير لونه فلما رأهما أجهش بالبكاء... فأخذته حليلة في حضنها وسألته: ما الذى حدث لك؟ فحكى لها كل ما حدث.

فقال زوجها: والله إنى أخشى أن يكون قد أصيب بمكروهٍ فهيا لنرده إلى أهله قبل أن يحدث له شيء، فيظن

(١) يخر: يسقط.

(٢) حسن: رواه الأدارمي (١٣) في مقدمة سنته، وأحمد (١٧١٩٦) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٧٣).

الناس أننا قد أهملنا رعايته .

فذهبا به إلى أمه آمنة... فلما رأتهم آمنة تعجبت
وقالت: ما الذي أتى بكما قبل أن أطلبه منكما وقد كنتما
حريصين كل الحرص على بقاءه عندكما .
فقالت حليلة: لا شيء سوى أنه قد أتم فترة الرضاعة
منذ زمن فأحببنا أن نرده إليكم قبل أن يُصاب بمكروه .
فقالت: إنه قد حدث شيء ولا بد أن تخبريني يا
حليلة .

فأخبرتها حليلة بما حدث... فتبسّمت أم النبي
ﷺ وقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك له، إن لابني
شائناً، أفلا أخبركما خبره، إنى حملت به، فوالله ما
حملت حملاً قط كان أخف علىّ منه، ولا أيسر منه، ثم
رأيت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل
ببصرى ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع
الصبيان، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه
إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا .

فراق مؤلم

وانصرفت حليلة ﷺ وقد امتلأ قلبها حزناً وأسى
على فراق الحبيب ﷺ ودموعها تسيل على خدها .
ولكنها كانت تشعر في قرارة نفسها أن الله (عز وجل)
سيجمع بينها وبين الحبيب ﷺ وأنها ستراه مرة أخرى .

وفاة أمه (عليه الصلاة والسلام)

أخذت آمنة طفلها المبارك واحتضنته وأغدقت عليه حياً
وحناناً فهي تشعر أنه خير غلام أنجبه أرض العرب .
* وفي يوم من الأيام أخذته أمه لزيارة أخوال أبيه بنى
عدى بن النجار بعد أن استأذنت من جده عبد المطلب
الذى كان لا يطيق فراق حفيده أبداً . . وكان النبی ﷺ
قد بلغ السادسة من عمره .

* فخرجت آمنة متجهة إلى يثرب (المدينة المنورة)
ومعها ابنها المبارك ومعها أم أيمن (جارية عبد المطلب) .

ولما وصلوا يثرب ورآه أخواله فرحوا به فرحًا شديدًا
ولم يأذنوا لأمه بالعودة إلا بعد إلحاح شديد.

* وفي طريق العودة من يثرب إلى مكة... وفي
مكان بين مكة والمدينة اسمه الأبواء أحست أمينة بالآلام
شديدة أوقفتها عن المسير... ونظر محمد ﷺ إلى أمه
فإذا هي في النزاع الأخير فنزفت دموعه وهو يرى أمه
تموت أمام عينيه.

وماتت أمه بالأبواء ودُفنت هناك... فنظر النبي
ﷺ إلى أم أيمن وبكى وقال لها: يا أم أيمن أنت أمي
بعد أمي.

* يا له من موقف مؤثر... ها هو النبي ﷺ يفقد
أمه بعدما فقد أباه وهو جنين في بطن أمه.

* وما هو في هذه اللحظة الحزينة يصبح بلا أب ولا
أم وهو الطفل الصغير الذي لم يتجاوز السادسة من
عمره.

* وفي هذه اللحظة احتضنته أم أيمن ودموعها على

خديها وعادت به إلى مكة وتوجهت به إلى بيت جده عبد
المطلب الذي احتضن حفيده وبكى بعدما علم ما حدث
له .

* وأوقفت أم أيمن حياتها كلها لرعاية النبي ﷺ . .
فغمرته بعطفها وحبها وحنانها . . . وكان جده يقربه إليه
ويحبه حباً شديداً .

وهكذا عوضه الله بحنان جده وحاضته أم أيمن عن
حنان الوالدين وكان عبد المطلب يخاف عليه خوفاً شديداً
فكان يوصي أم أيمن ويقول لها: لا تغفلي لحظة واحدة
عن محمد ﷺ .

فكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن
هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة،
فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا
يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له . قال: فكان رسول
الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه
أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك

منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا؛ ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة نام عبد المطلب على فراش الموت... وقد كان يتمنى أن يعيش طويلاً من أجل أن يرعى حفيده المبارك ﷺ.

ولكن جاءت اللحظة الحاسمة ومات عبد المطلب جد النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يبلغ من العمر ثمان سنوات.

وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب في اللحظات الأخيرة أن يكفل محمداً ﷺ ويرعاه... فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبي ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده..



وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

كان أبو طالب فقيراً وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبداً فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة في هذا البيت الكريم وبخاصة في طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ .

* فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يُغذيهم أو يُعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم .

وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده، فيقول أبو طالب: إنك مبارك .



النبي ﷺ يرعى الغنم

وكان النبي ﷺ ينظر إلى حال عمه أبي طالب الذي كان فقيراً صاحب عيالٍ فأراد أن يساعده ويخفف عنه الحمل الثقيل... فقرر أن يبحث عن عملٍ يساعده به عمه... فبدأ النبي ﷺ يرعى الأغنام ليساعد عمه وليرد إليه شيئاً من المعروف الذي أسداه إليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم».

فقال أصحابه: وأنت؟

فقال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة» (١).



(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢) كتاب الإجارة.

قصة بحيرا الراهب

لقد كان أبو طالب يحب النبي ﷺ أكثر من حبه لأولاده وكان لا يُطيق فراقه لحظة واحدة.

وفى يوم من الأيام أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في تجارة له فلم يستطع أن يسافر وحده ويترك محمداً ﷺ . . . فأخذه معه في رحلته إلى الشام.

وكان في الطريق تنتشر صوامع الرهبان الذين كانوا يعرفون صفة نبي آخر الزمان فقد قرءوا صفته في التوراة والإنجيل.

وكان من بين هؤلاء الرهبان رجل اسمه (بحيرا) وكان رجلاً صالحاً يعرف صفة النبي ﷺ.

ونظر بحيرا إلى القافلة التي قدم فيها أبو طالب ومحمد ﷺ فإذا به يرى غمامة (١) في السماء تُظلل محمداً ﷺ وتسير معه أينما سار، وهذه علامة من

(١) سحابة.

عَلَامَاتِ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَرَادَ «بَحِيرًا» التَّأَكُّدَ مِنْ هَذَا
النَّبِيِّ، وَالنَّظَرَ فِي وَجْهِهِ، فَصَنَعَ طَعَامًا، وَدَعَا الْقَافِلَةَ جَمِيعًا
لِلْأَكْلِ، فَقَالُوا:

- يَا بَحِيرًا كُنَّا نَمُرُّ عَلَيْكَ فَلِمَ تَصْنَعُ لَنَا طَعَامًا، فَلِمَاذَا
هَذِهِ الْمَرَّةُ؟!

- **قَالَ:** بَلْ أَنْتُمْ ضُيُوفِي، فَلَتَأْتُوا جَمِيعًا وَلَا يَتَخَلَّفُ
مِنْكُمْ أَحَدٌ.

وَجَاءُوا جَمِيعًا إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ بَحِيرًا فَلَمْ
يَجِدْهُ، فَقَالَ: هَلْ جِئْتُمْ جَمِيعًا؟

قَالُوا: نَعَمْ، إِلَّا غُلَامًا صَغِيرًا، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ جَعَلْنَاهُ فِي
رِحَالِنَا.

فَقَالَ: إِذْنًا، لِيَذْهَبَ أَحَدُكُمْ وَكَيْتَابِي بِهِ.

وَحَضَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَجَلَسَ لِلطَّعَامِ مَعَ قَوْمِهِ فَلَمَّا
فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنَ الطَّعَامِ، وَبَقِيَ بَحِيرًا وَمُحَمَّدٌ ﷺ
وَحَدَّهُمَا.

قَالَ بَحِيرًا: يَا غُلَامُ اسْتَحْلِفُكَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، أَنْ

تُجيبني عمّا أسألك عنه قال: لا تسألني باللات والعزى
شيئاً، فوالله إني لأكرههُمَا.

فقال: إذن أسألك بالله.

قال: أسأل عمّا بدأ لك.

فراح بحيرا يسأله عن أمور نومه، وطعامه، حتى كشف
عنه كتفه؛ فرأى خاتم النبوة على كتفه، وهو بعض
شعرات بين كتفيه، ثم انصرف رسول الله ﷺ.

فقال بحيرا لأبي طالب: من هذا الغلام؟ فقال: ابني.

قال بحيرا: لا، ما هو بابنك، ولكن ينبغي أن يكون
أبواه قد ماتا.

قال أبو طالب: نعم، مات أبوه وأمه حبلى^(١)، وماتت
أمه.

فقال بحيرا: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلدك،
واحذر عليه اليهود، فلو عرفوه ليقتلونه.

(١) حبلى: أي حامل.

وعاد أبو طالب إلى مكة .
وقد تأكد أن لابن أخيه شأنًا بين الناس جميعاً، وما
زالت كلمات بَحِيرَا في أذنه: «احذر عليه اليهود» (١) .

الله يعصم نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية

وفي ظل الجاهلية التي كان يعيشها أكثر أهل مكة كان
النبي ﷺ نشأ نشأة كريمة فلم يشاركهم في أى شيء
يُغضب الله (عز وجل) .

* فمن ذلك أن النبي ﷺ لم يسجد لصنم من
الأصنام أبداً .

* ولم يأكل أبداً من تلك الذبائح التي كانوا يذبحونها
لتلك الأصنام .

* ومن ذلك أن الله (عز وجل) حفظه من أن تبدو
عورته أو يظهر عُرياًناً . . . ففي يوم من الأيام كان النبي
ﷺ يشارك في نقل الحجارة لبناء الكعبة فقال له عمه

(١) حياة محمد ﷺ للأطفال / ١. حامد أحمد (ص: ٣٨-٤٠) .

العباس: اجعل إزارك على رقبتك حتى يقيك من الحجارة.. ففعل ذلك فسقط على الأرض ونظر إلى السماء ثم أفاق وهو يقول: إزارى إزارى فشدَّ عليه إزاره ولم يرَ أحدٌ عورته ﷺ. ومن ذلك أنه لم يستمع لصوت المزامير والمعازف.

ففى يوم من الأيام قال النبي ﷺ لفتى كان معه من قريش بأعلى مكة فى أغنام لأهله يرعاها: «احفظ لى غنمى حتى أذهب إلى مكة فألهو كما يلهو الفتيان..» فقال له: نعم. **يقول النبي ﷺ:** «فخرجت ووصلت إلى أقرب دار من دور مكة وسمعت الغناء يخرج من تلك الدار فقلت: ما هذا؟» قالوا: فلان تزوج فلانه.

وفجأة نام النبي ﷺ ولم يوقظه إلا حرُّ الشمس... نام النبي ﷺ ولم يستمع إلى تلك المزامير والمعازف... فعاد إلى غنمه مرة أخرى وأخبر الفتى الذى كان يرعى له الغنم بما حدث. ثم قال له فى الليلة الأخرى مثلما قال له فى المرة

الأولى وذهب ليستمع إلى المزامير والمعازف فحدث له ما حدث في المرة الأولى فلم يعد إلى اللهو مرة أخرى .
يقول النبي ﷺ : «فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته» .

حرب الفجار

وكانت الحروب في أرض الجزيرة لا تهدأ أبداً .
 بل الأعجب من ذلك أن تلك الحروب كانت تقوم لأتفه الأسباب .

* وكان من بين تلك الحروب (حرف الفجار) التي كانت بين قريش وبين قبيلة أخرى تسمى (قيس عيلان) .
 وسُميت تلك الحرب بحرب الفجار لأنها كانت في الأشهر الحُرْم ولأنهم استحلوا فيها الكثير من حُرْمات مكة التي كانت مقدمة عند العرب .

* وكادت (قيس عيلان) أن تُهزم هزيمة منكرة لولا أنه

تدخل بعض الناس للصلح بينهم على أن يحصوا عدد القتلى من الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية العدد الزائد من القتلى . . فكان لقيس زيادة في القتلى فأخذوا ديتها من قريش .

* وكان النبي ﷺ في تلك الحرب قد بلغ العشرين من عمره . . ولم يقاتل فيها بل كان يجمع النبال التي يرميها أعداؤهم ثم يعطيها لأعمامه .

* ولم يقاتل النبي ﷺ لأنها كانت حرب فجار وكانوا كفاراً ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا .



حالف الفضول

وفى يوم من الأيام حدث فى مكة شىء عجيب يدل على أن الحياة مهما كانت سوداء فلا بد من وجود بريق من الأمل.

✦ فقد جاء رجل إلى مكة من أجل أن يتاجر فى بعض السلع التجارية فاشتراها منه العاص بن وائل السهمى - والد عمرو بن العاص - ووعد الرجل بأن يعطيه الثمن ولكنه نقض العهد ولم يعطه ماله.

فأخذ الرجل يبحث عن أى أحد من سادة قريش ليرد إليه حقه ولكن لم ينصره أحد فصعد الرجل على جبل أبى قبيس بمكة ونادى على أهل مكة من أجل أن ينصروه على العاص بن وائل فقام الزبير بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وجمع قريشًا فى دار رجل اسمه (عبد الله بن جدعان).

وبعد مناقشات طويلة تحالفت قريش فيما بينها على أن يكونوا يداً واحدة على كل ظالم حتى يأخذوا منه الحق للمظلوم.

وتحالفوا أيضاً على أن يتقاسموا بعض أموالهم مع الفقراء حتى لا يبقى في مكة فقير واحد.

* ومن شدة إعجاب النبي ﷺ بحلف الفضول ومبادئه السامية كان لا ينسى هذا الحلف أبداً. . وظل يذكره بعد البعثة النبوية ويقول: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يعدُّ (١) ظالم مظلوماً».

* * *

(١) يظلم.

مكانة النبي ﷺ بين قومه

لقد كان النبي ﷺ في خير قبيلة وأشرف نسب . .
وهكذا الأنبياء يكونون أشرف الناس نسبًا وأكمل الناس
خلقًا وخلقًا .

لذا سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبي
ﷺ فقال: «كيف نسبه فيكم» .

فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب .

ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب،
فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها»^(١) .

« **وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:** «إن

الله - عزَّ وجلَّ - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى
من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا،
واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (٤٢/١) بدء الوحي .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل .

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله ﷺ قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إلا أن الله - عزَّ وجلَّ - خلق خلقه، فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين، فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً»^(١).

* بل لقد كان الحجر يعرف قدر النبي ﷺ فكان يسلم عليه قبل البعثة.

فمن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»^(٢).



(١) رواه أحمد والترمذي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٧٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

زواج النبي ﷺ من خديجة

كان النبي ﷺ قد عُرف في مكة بأنه الصادق الأمين... حتى أنه كان كثير من سادة قريش يضعون أموالهم وأماناتهم عند النبي ﷺ ومنهم من كان يعطيه ماله ليتاجر به ويعطيه على ذلك جزءاً من الربح... فكان النبي ﷺ يأخذ الربح ليساعد به عمه أبا طالب.

* وكان هناك في مكة امرأة عاقلة اسمها خديجة بنت خويلد وكانت امرأة غنية تتاجر بها... فقد كانت تزوجت قبل ذلك برجلٍ غني فمات وترك لها مالا كثيراً ثم تزوجت برجلٍ آخر فمات وترك لها مالا وفيراً... فكانت تستأجر الرجال للعمل في تجارتها.

ومن المعلوم أنهم كانوا يعيشون في فترة جاهلية شديدة... فمن المؤكد أنها قد تعرضت للسرقة أكثر من مرة.

* فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق

حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا اشتد الحرُّ يرى ملكين يظلالانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت البضاعة التي جاء بها من الشام فأصبح ريحها مضاعفًا... ولم يحدث في أي رحلة

تجارية أن ربحت خديجة مثل هذا الربح فسألت غلامها
ميسره فأخذ يحدثها عن أخلاق النبي ﷺ وصدقه
وأمانته .

بل أخذ يحدثها عن قول الراهب وعمما كان يرى من
إضلال الملكين إياه .

* فذهبت خديجة إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل)
وكان نصرانياً قد قرأ كتب أهل الكتاب وعرف صفات
نبي آخر الزمان . فبشرها بأن هذه هي صفاته وأنه
سيكون نبي آخر الزمان .

* اجتمعت الدلائل عند خديجة أن محمداً سيكون
نبي آخر الزمان فباتت ترجو أن يكون زوجاً لها . . .
ولكن كيف ذلك وهو في الخامسة والعشرين من عمره
وهي في الأربعين من عمرها .

ومع ذلك لم تيأس لأنها كانت غنية وجميلة وكان
كثير من الرجال يرغبون في الزواج منها ولكنها كانت
ترفض لأنها كانت ترى حرصهم على مالها . . وفي نفس

الوقت لم تجد الرجل المناسب الذي ترضى أخلاقه
ورجولته .

لكنها لما رأت محمداً ﷺ عرفت أنها لن تجد مثله
أبداً .

* وجلست في حيرة تفكر كيف تفوز بزواجها من
محمد ﷺ .

وفي غمرة الحيرة والاضطراب تدخل عليها صديقتها
نفيسة بنت منبه، وتجلس معها تبادلها أطراف الحديث حتى
استطاعت أن تكشف السر الكامن المرتمى على محياها
وفي نبرات حديثها .

وهدأت نفيسة من روع خديجة وطمأنت خواطرها،
وذكرت بأنها ذات الحسب والنسب والمال والجمال،
واستدلت على صدق قولها بكثرة الطالبين لها من أشرف
الرجال .

وما إن خرجت نفيسة من عند خديجة حتى انطلقت
إلى النبي ﷺ وكلمته أن يتزوج الطاهرة خديجة،

وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال - عليه الصلاة والسلام - : «ما بيدي ما أتزوج به».

قالت: فإن كُفيت ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تجيب؟

فرد متسائلاً: ومن؟

قالت على الفور: خديجة بنت خويلد.

فقال: إن وافقت فقد قبلت.

وانطلقت نفيسة لتزف البشرى إلى خديجة، وأخبر - عليه الصلاة والسلام - أعمامه برغبته في الزواج من خديجة، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم خديجة عمرو ابن أسد، وخطبوا إليه ابنة أخيه، وساقوا إليه الصداق.

في ذلك المجلس اللطيف، قام أبو طالب يخطب، ولما تم العقد نُحرت الذبائح، ووُزعت على الفقراء، وفتحت دار خديجة للأهل والأقارب.

• وانتشر الخبر في مكة كلها أن الصادق الأمين قد

تزوج خديجة .

* وعاش النبي ﷺ مع خديجة أجمل أيام حياته ورزقه الله منها الأولاد فقد أنجبت له: القاسم وعبد الله ورقية وأم كلثوم وزينب وفاطمة ولكن القاسم مات ومات عبد الله فاحتسبه النبي ﷺ ورضى بقضاء ربه ولم يعترض .

* وبهذه المناسبة .. تعالوا لتتعرف سريعاً على أزواج النبي ﷺ وأولاده .

* * *

أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)

أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ثم تزوج بعد موتها سودة بنت زمعة القرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة.

ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق، المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ، عائشة بنت أبي بكر الصديق، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في قطعة من حرير وقال: «هذه زوجتك» (١) . . . تزوج بها في شوال وعمرها ست

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢/١٢) في التعبير، ومسلم (٢٤٣٨).

سنين، وبنى بها فى شوال فى السنة الأولى من الهجرة
وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرة غيرها، وما نزل
عليه الوحي فى لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق
إليه .

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . . وذكر
أبو داود أنه طلقها، ثم راجعها (١) .

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، من
بنى هلال بن عامر، وتوفيت عنده بعد ضمّه لها بشهرين .
ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية
المخزومية، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وهى آخر
نساءه موتاً .

ثم تزوج زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة
وهى ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى
زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (٢) وبذلك كانت تفتخر على نساء

(١) رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح .

(٢) سورة الاحزاب: الآية: (٣٧) .

النبي ﷺ ، وتقول: زوّجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(١).

ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذي زوّجها لرسوله من فوق سماواته، وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب. وكانت أولاً عند زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبناه فلما طلقها زيد، زوّجه الله تعالى إياها لتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبنيه - وبخاصة وأن الإسلام أبطل التبنّي بعد ذلك - .

وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث وكانت من سبأيا بنى المصطلق، فجاءته تستعين به على كتابتها، فأدى عنها كتابتها وتزوجها.

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية وقيل: اسمها هند، تزوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمئة دينار، وسيقت إليه من هناك، وماتت في أيام

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧/١٣) التوحيد.

أحبها معاوية.

وتزوج ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من ولد هارون بن عمران أخى موسى، فهى ابنة نبي، وزوجة نبي، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من السبي أمة فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهى آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حل منها - أى بعد أن فكَّ إحرامه - .



أولاد النبي ﷺ

✽ قال النووي رحمه الله :

كان له ﷺ : ثلاثة بنين : القاسم وبه كان يُكنى ، وُلد قبل النبوة، وتوفى وهو ابن سنتين، وعبد الله وسُمى الطيب والطاهر، لأنه وُلد بعد النبوة والثالث : إبراهيم ولد بالمدينة سنة ثمان، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر.

✽ وكان له أربع بنات:

زينت تزوجها أبو العاص بن الربيع وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد.

وفاطمة تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان، تزوج رقية، ثم أم كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سُمى ذا النورين. وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكلهم توفوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

النبي ﷺ يشارك في بناء الكعبة

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول
مسجد وضع في الأرض قال: «المسجد الحرام. قلت ثم أي؟
قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم
الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل، فإن الفضل
فيه» (٢).

✽ وقد اختلف أهل العلم في أول من بنى الكعبة
فمنهم من قال: أول من بناها الملائكة. ومنهم من قال:
أول من بناها آدم عليه السلام. ومنهم من قال: أول من
بناها إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام).
والراجح أن الكعبة كانت قبل إبراهيم وإسماعيل

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٦٦) كتاب أحاديث الأنبياء، واللفظ له، ومسلم

(٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

ولكنها هُدمت وبقيت القواعد فكان الذي رفع تلك القواعد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

* وكانت الكعبة - قبل مبعث النبي ﷺ - قد أوشكت على الانهيار... قيل: بحريق أصابها وقيل: بسيل جارف وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات على الراجح.

فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، واتفقوا على أن لا يُدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا يبيع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزؤوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً

(١) سورة البقرة: الآية: (١٢٧).

منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حده، وأخذوا
 بينونها، وتولى البناء بناء رومي اسمه باقوم، ولما بلغ البنيان
 موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه
 في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتى
 كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا
 أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يُحكّموا فيما
 شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه،
 وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه
 هتفوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى
 إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداءً، فوضع الحجر وسطه،
 وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً
 بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعه، حتى إذا أوصلوه إلى
 موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه^(١).



(١) الرحيق المختوم (ص: ٥٩).

شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة

وفي تلك الفترة التي كانت قبل البعثة كان النبي ﷺ يعبد ربه على دين إبراهيم (عليه السلام).
ولما اقترب من سن الأربعين حُبب إليه الخلاء فكان
يذهب إلى غار حراء في جبال مكة وكان يمكث شهر
رمضان في ذلك الغار يتعبد ويتفكر في بديع خلق الله
(جل وعلا).

* وفي هذا الوقت حدثت أشياء عجيبة... فقد كانت
الشياطين تتجسس وتسمع أخبار السماء.. ولكنها الآن لا
تستطيع ذلك فإن النجوم والشهب تطارد كل شيطان
يحاول أن يقترب ليعرف أخبار السماء فتحرقه وتقتله.

* وبدأ النبي ﷺ يحكى لخديجة أنه يرى ضوءاً
ويسمع صوتاً فكانت خديجة تسأل ابن عمها ورقة بن

نوفل فيقول لها: إن يكن صادقاً فإن هذا الوحي الذي كان يأتي موسى (عليه السلام).. فإن بُعث وأنا حي سأنصره وأؤمن به.

• وكان النبي ﷺ في تلك الفترة يرى الرؤيا الصادقة في النوم.

وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.
فكان يتزود بالطعام والشراب ويذهب إلى الغار ليتعبد ثم يعود بعد فترة ليتزود مرة أخرى.

• وبدأت أيام شهر رمضان المباركة تُطلُّ على أهل مكة وخرج النبي ﷺ كعادته إلى غار حراء ليتعبد لربه (جل وعلا) ويتأمل في بديع خلق الله.

وبينما كان النبي ﷺ في تلك الحالة الإيمانية الفريدة وإذا به فجأة يرى مخلوقاً لم ير مثله قبل ذلك أبداً.

وبدأ يقترب من النبي شيئاً فشيئاً حتى جذبته بشدة وضممه بقوة وقال له: اقرأ.

فقال له النبي ﷺ: «ما أنا بقارى» . . . فقد كان النبي ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
فجذبه الملك وضمه بقوة مرة أخرى وقال له: اقرأ .
فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارى» .

ثم جذبه الملك للمرة الثالثة وضمه بقوة حتى تعب النبي ﷺ من ذلك تعباً شديداً فقال له الملك: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربك الأكرم (3) الذي علم بالقلم (4) علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (1) .
ثم تركه الملك وعاد إلى السماء مرة أخرى بعد أن ترك النبي ﷺ خائفاً مرعوباً قد تصبب العرق على جسده وجسده .

* فأسرع النبي ﷺ عائداً إلى خديجة وهو يقول:
«زملونى زملونى» (2) .
* فقامت خديجة لتغطية وتهدئ من روعه .

(1) سورة العلق: الآيات: (1-5) .

(2) أى: غطونى .

وبدأت خديجة تسأله عما حدث .. فأخبرها النبي
ﷺ بما حدث ثم قال لها:

لقد خشيت على نفسي .

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك
لتصل الرحم، وتحمل الكل^(١)، وتكسب المعدوم^(٢)،
وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٣)، فانطلقت به
خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى
(ابن عم خديجة)، وكان امرأً تنصراً في الجاهلية، وكان
يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله
أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة:
يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله

(١) تحمل الكل: تفق على الضعيف واليتيم والعبال، والكل: أصله الشقل
والإعياء.

(٢) تكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد
ومكارم الأخلاق.

(٣) تعين على نوائب الحق: أي: إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من
مكارم الأخلاق وكرم السمائل.

ﷺ خبير ما رأى: فقال له ورقة:

هذا الناموس - أي جبريل أو الوحي - الذي نزل الله على موسى، باليتنى أكون شاباً قوياً عندما يُخرجك قومك.

فتعجب النبي ﷺ وقال: «وهل سيُخرجني قومي؟».

فقال له ورقة: ما جاء رجل بمثل ما جئت به إلا عاداه قومه وأخرجوه ولو كنت قوياً في ذلك الوقت لأنصرك نصراً قوياً^(١).

* وعاد النبي ﷺ إلى بيته يفكر فيما قاله ورقة ابن نوفل فعلم أن الأيام تُخبئ له أحداثاً عظيمة.. ولكنه كان على يقين وثقة أن الله لا يخذله.



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

وفاة ورقة بن نوفل

وبعد ذلك بفترة يسيرة مات ورقة بن نوفل الذي كان قد عاهد النبي ﷺ على أنه إن كان حياً فسوف ينصره ويؤمن به .

النبي ﷺ يرى جنة أو جنتين لورقة بن نوفل

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين»^(١).



(١) صحيح: رواه الحاكم (٢/٦٦٦ ، رقم ٤٢١١ ، وابن عساکر (٦٣/٢٤) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٣٢٠).

حزن النبي ﷺ لفتور الوحي

عاد النبي ﷺ بعد ذلك إلى غار حراء لعله يرى الملك الذي نزل عليه قبل ذلك وقال له: اقرأ... لكن الملك لم يأت إليه مرة أخرى... ويمر اليوم وراء اليوم... والنبي ﷺ ينتظر والملك لا يأتي. فحزن النبي ﷺ على فتور الوحي وعدم نزول جبريل وخشى ألا ينزل عليه مرة أخرى.

وبينما هو عائد من الغار وإذا به يرى جبريل (عليه السلام) جالساً على كرسيه بين السماء والأرض فخاف منه النبي ﷺ وامتألاً قلبه رعباً من هول المنظر... وأسرع بالعودة إلى خديجة وهو يقول: زملوني زملوني... فجاءه جبريل مرة أخرى وهو يقرأ عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ (١).

* ففرغ النبي ﷺ وقام من نومه فقالت له خديجة:

(١) سورة المدثر: الآيات: (١-٥).

نم يا محمد واسترح .

فقال لها: لقد مضى عهد النوم يا خديجة .

الدعوة السرية

لما نزل على النبي ﷺ قول الله (جل وعلا): ﴿يا

أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ فَمُتَّأَنِّرُ﴾^(١) .

علم النبي ﷺ أنه تحمل مهمة شاقة ومسئولية

كبيرة: وهي أنه لابد أن يقوم ليدعو الناس جميعاً إلى

عبادة الله (جل وعلا) وإلى ترك عبادة الأصنام .

* وبدأت الدعوة إلى الإسلام سراً .

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام

أولاً على ألق الناس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم

إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم

ويعرفونه .

(١) سورة المدثر: الأيتان: (١-٢) .

وفى مقدمتهم زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب - وكان صبيًا يعيش في كفالة الرسول ﷺ (١).
 * ودعا صديقه الذي هو موضع ثقته وأمين سره (ثاني اثنين إذ هما في الغار) (٢).

أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلم يتردد وكان أول داعية في الإسلام، وكان ببركة إسلامه ودعوته ثلة مباركة دخلت في الدين وكانت من السابقين الأولين وكان لها في الإسلام أعظم بذل وبلاء، فرضى الله عنهم أجمعين... منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، والنورين، والزبير بن العوام وهو حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص خال المصطفى ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وكل هؤلاء الذين دخلوا الإسلام على يد أبي بكر من العشرة المبشرين

(١) الرحيق المختوم (ص: ٧٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

رضى الله عنهم أجمعين^(١).

* فكان أول من أسلم من النساء خديجة رضي الله عنها.

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي عنه.

وأول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي عنه.

وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي عنه.

* وبدأ النبي ﷺ يتوسع في دعوته شيئاً فشيئاً حتى

لا تعلم قريش بذلك فتبدأ في إيذاء المؤمنين.

* ولما زاد عدد الذين أسلموا على الثلاثين اختار لهم

الرسول ﷺ دار أحدهم (وهو الأرقم بن أبي الأرقم)

ليلتقى بهم في تلك الدار فيعلمهم ويرشدهم.

* واستمرت هذه المرحلة السرية قرابة ثلاث سنوات.

ثم نزل الوحي يكلف النبي ﷺ بأن يجهر بدعوته.

* * *

(١) وفقات تربوية / د . احمد فريد (ص: ٦٧).

الجهرب بالدعوة

لقد جاء الأمر من الله (جل وعلا): ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ (١). . . فقام النبي ﷺ ليصدع بهذه الدعوة المباركة وأصبحت المواجهة حتمية بين المؤمنين والكافرين .

وأندر عشيرتك الأقربين

* عن ابن عباس رضيهما: لما نزلت: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ (٢). خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه» (٣)، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكتنم مصدقي؟» .

(١) سورة الحجر: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

(٣) يا صباحاه. كلمة ينادى بها للاجتماع لوقوع أمر عظيم.

قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا.

قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام،

فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١)(٢).

* **وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:** قام رسول الله ﷺ

حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٣).

قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من

الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا يا عباس

ابن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمه رسول

الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما

شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا» (٤).



(١) سورة المسد: الآية: (١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٩٧١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان.

(٣) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧٧١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٠٦) كتاب الإيمان.

وفد قريش إلى أبي طالب

بدأ النبي ﷺ دعوته العلنية . . . وأخذ يعلم الناس أن تلك الأصنام التي يعبدونها لا تنفع ولا تضر . . . وأخذ ينتظر قدوم العرب إلى موسم الحج ليدعوهم إلى الإسلام ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا الله فحلوا».

* وهنا بدأ المشركون يشعرون بخطر دعوة النبي ﷺ التي تُحرم عليهم تجارة الأصنام وعبادتها . . . وتُسوَّى بين السادة والعبيد وبين الغنى والفقير . . . فالناس في ظل هذا الدين سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١) فلا فضل لأحد على أحد بالمال أو الجاه أو السلطان أو القوة .

* وهنا قرر المشركون أن يواجهوا النبي ﷺ وأصحابه .

فذهبوا أولاً إلى عمه أبي طالب وقالوا له:

يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسقاه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا،

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

وإما أن تُخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دين الله، فذهب الوفد مرة أخرى إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب: إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباتنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب أهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. . ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي: إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبقِ عليّ وعلى نفسك، ولا تُحملني من الأمر ما لا أطيق، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى فلما ولى ناداه أبو طالب،

فقال: أقبِل يا ابن أخى، فأقبل عليه رسول الله ﷺ
فقال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك
لشئ أبداً^(١).

موقف جليل لأبى طالب وقومه

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب
قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه
لفراقهم فى ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد
ابن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد،
أشد فتى فى قريش وأجملهم، فخذ فلك عقله ونصره،
واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد
خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه
أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس
ما تكلفوننى أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيتكم ابنى
تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً.

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٩٩).

النبي ﷺ يستمر في دعوته

• قام النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان. . . وكانت زوجته خديجة تعينه وتثبته وتخفف عنه الآلام والأحزان وتساعدته بمالها. وكان عمه أبو طالب يؤازره وينصره ويحميه رغم أنه كان مشركاً ولم يؤمن. . لكنه كان يحب الرسول الله ﷺ حباً جماً.

« وأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

فقام النبي ﷺ يبذل أقصى جهده في الدعوة إلى الله وهو يعلم أن الله قد تعهد بحفظه من كيد المشركين وإيذائهم. . . فظل في دعوته هذه حتى آخر لحظة في حياته ﷺ.

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ

وهنا انفجرت مكة بمشاعر الغضب وبدأت تُسلط على أصحاب الرسول ﷺ أشد أنواع العذاب فاستباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

ما حدث لأبي بكر ﷺ

• عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غُشى عليه، فقام أبو بكر ﷺ فجعل ينادى ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون فتركوه، وأقبلوا على أبي بكر^(١)».

(١) رواه أبو يعلى (٣٦٩١)، والحاكم (٦٧/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٤٣١/٥): رواه أبو يعلى والبخاري وزاد: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر. ورجاله رجال الصحيح.

ونال أبا بكر رضي الله عنه نصيبه من الأذى، حتى فكر في الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه^(١).

وقام أبو بكر خطيباً في المسجد الحرام ذات يوم فضربه المشركون ضرباً شديداً، ومن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بتعلين مخصوصتين حتى ما يُعرف وجهه من أنفه. وجاء رجال من قبيلة أبي بكر فصرفوا المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته، وأقسموا لئن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعة^(٢).

ما حدث لعثمان رضي الله عنه

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته.

وروى أنه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي

(١) انظر الحديث بتسامه من رواية البخاري، الصحيح (فتح الباري ١٠/٤٣،

٤٤ / ح ٢٢٩٧).

(٢) ابن كثير في البداية (٣/٣٣، ٣٤).

العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وأقسم ألا يحله إلا إذا ترك الإسلام، فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته في دينه تركه.

ما حدث لمصعب بن عمير رضي الله عنه

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجماعته وأخرجته من بيتها، وكان من أنعم الناس عيشاً، فحبسته أمه وحرمته من مالها فاستطاع أن يهرب منها وعاش زاهداً حتى استشهد يوم أحد.

ما حدث لأبي ذر رضي الله عنه

وعندما سمع أبو ذر الغفاري بخبر النبي ﷺ جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول ﷺ، فضربه أهل مكة حتى غشى عليه، وكاد أن يموت، فخلّصه العباس رضي الله عنه منهم.



تعذيب الموالى

بعد أن بذلت قريش كل ما فى وسعها من قوة وحيلة فى إطفاء أنوار الدعوة المحمدية، وباءت بخيبة مريرة حولت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين كبلال وعمار ووالده ياسر وأمه سُميَّة، وصهيب الرومى، وخبَّاب بن الأرت وابن فهيرة، وأبى فكيه، ومن النساء زَينِرة، والنهدية، وأم عُبَيْس.

بلال يردد نشيده الخالد: أحدٌ أحدٌ

* وكان بلالٌ مولىً لأمية بن خلف فكان أمية يُخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره، ثم يقول له: [لا والله] لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ.



اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة

وأما عَمَارُ وأمه ووالده ياسر فقد كانوا يُخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّها، فمرَّ بهم النبي ﷺ وهم يُعذبون، فقال: «صَبْرًا آل يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ» (١) فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة.

وأما سمية فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعنها بحربته في موطن عفتها فماتت شهيدة، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

أخذ المشركون عَمَّارًا، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: «ما وراءك؟».

قال: شرُّ يا رسول الله. والله ما تركتُ حتى نلتُ

(١) **حسن صحيح:** رواد الطبراني (٣٠٣/٢٤)، رقم (٧٦٩)، وحسن العلامة الألباني رحمه الله في تخريجه لكتاب فقه السيرة (ص ١٠٣)، وقال: حسن صحيح.

منك، وذكرت ألهتهم بخير، قال: «فكيف تجد قلبك؟»

قال: مطمئن بالإيمان.

قال: «فإن عادوا فعد»^(١).

فنزل قول الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢).

وكان حظ العذاب كبيراً

ولقد كان حظ «خياب» من العذاب كبيراً، ولكن صبره وتضحيته من أجل الحق كانت أكبر وأعظم بكثير.

لقد كانوا يقاومون إيمانه بالعذاب، وكان هو يقاوم العذاب بالصبر والتضحية.

وكان ﷺ مولى لأم أثمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً،

(١) رواه الحاكم (٣٥٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة النحل: الآية: (١٠٦).

حتى لا يستطيع أن يقوم^(١).

تسليط الأذى على النبي ﷺ

ولم يكن العذاب خاصاً بأصحاب الرسول ﷺ وحدهم بل إن المشركين آذوا الرسول ﷺ كثيراً. * فتعالوا بنا لنرى صوراً من إيذاء المشركين لسيد المرسلين ﷺ.

إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ

عن أبي هريرة **رضي الله عنه قال**: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه^(٢) بين أظهركم؟ - أي: هل يصلى ويسجد - قالوا: نعم.

فقال: واللات والعزى! لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرنَّ وجهه في التراب. قال فأتى

(١) رحمة للعالمين (٥٧/١).

(٢) يعفر وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

رسول الله ﷺ وهو يصلى، من أجل أن يطأ على رقبته، قال: فوجدوه فجأة يرجع إلى الوراء ويتقى بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بينى وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا منى لاختطفنه الملائكة عضواً عضواً»^(١).

إيذاء أبى لهب للنبي ﷺ

* عن ربيعة بن عباد الديلى قال:

«رأيت رسول الله ﷺ بعينى بسوق ذى المجاز يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، إلا أن وراءه رجلاً أحولاً وضىء الوجه»^(٢) ذو غديرتين يقول: إنه صابئ»^(٣) كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا:

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) وضىء الوجه: حسن الوجه.

(٣) صابئ: خرج من دين إلى دين آخر.

محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: ومن هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب.

• وكان أبو لهب قد زوج ولديه عتبة وعتيبة بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة، حتى طلقاهما^(١).

ولما مات عبد الله، الابن الثاني لرسول الله ﷺ استبشر أبو لهب، وهرول إلى رفقاءه يبشرهم بأن محمداً صار أبتراً^(٢). فنزل قول الله عز وجل: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَيْتَرُ﴾^(٣).

وامراته حمالة الحطب

وكانت امرأة أبي لهب - أم جميل، أروى بنت حرب ابن أمية أخت أبي سفيان - لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق

(١) تفهيم القرآن (٦/٥٢٢).

(٢) تفهيم القرآن (٦/٤٩٠).

(٣) سورة الكوثر: الآية: (٣).

النبى ﷺ وعلى بابہ ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتثير حرباً شعواء على النبى ﷺ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الخطب، ولما سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد عند الكعبة، ومعه أبوبكر الصديق، وفى يدها حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه، أما والله إنى لشاعرة، ثم قالت:

مُدْمَمَا عَصِينَا . وَأَمْرَهُ أَيْبِنَا . وَدِينَهُ قَلِينَا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتنى، لقد أخذ الله ببصرها عنى (٢)(١).

(١) ابن هشام (١/٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) رواه البيهقى (٢/١٩٥). والحاكم (٢/٣٦١) وصححه ووافقه الذهبى، وانظر صحيح السيرة النبوية للعلامة الألبانى رحمه الله (ص ١٣٧-١٣٨).

كيف كانت نهاية أبي لهب

شاء الله أن يموت أبو لهب بعد غزوة بدر... ولكن تأمل كيف كان موته عبرة لمن يعتبر.

لقد أصيب بمرض شديد اسمه العدسة وكان من الأمراض الشديدة المعدية وكانت قريش تخشى من ذلك المرض.

فلما أصيب بهذا المرض ومات تركه ابنه بعد موته ثلاثة أيام ما دفناه حتى أنتن حتى قال لهما رجل من قريش:

ويحكما، ألا تستحيان أن أبكما قد أنتن في بيته لا تدفناه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فانا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رجموا عليه بالحجارة.



نهاية أم جميل (زوجة أبي لهب)

فبعد أن كانت تأتي كل يوم بحزمة كبيرة من الشوك وترميه في طريق النبي ﷺ . . . جاء اليوم الذي كان فيه هلاكها .

فبينما هي تحمل حزمة من الشوك فتعبت فجلست لتستريح فجذبها الملك من خلفها فخنقها بحبلها .

قال ابن كثير عن أم جميل:

«كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (١) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (١) يعني: تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهياة لذلك، مستعدة له» (٢).

* * *

(١) سورة المسد: الأيتان: (٤، ٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٣٥).

إيذاء عقبة بن أبي معيط للنبي ﷺ

« عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جَزور^(١) بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا^(٢) جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد.

فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معيط فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا^(٣)، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ . . . والنبي ساجدا، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتتمهم، فلما قضى النبي

(١) الجزور: الناقة.

(٢) سلا: اللقافة التي تكون في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الأدمى المشيمة.

(٣) استضحكوا: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية ثم أخذهم الضحك حداً، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض.

صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم .
 وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال:
 «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات .
 فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا
 دعوته، . . . ثم قال:

«اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن
 ربيعة، والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»
 فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق! لقد رأيت الذين سمى
 صرعى يوم بدر^(١) .

* بلى وفي يوم من الأيام دعا عقبة بن أبي معيط
 زعماء قريش إلى الطعام ودعا رسول الله ﷺ معهم . .
 فوافق النبي ﷺ عسى أن يسمعوا كلام الله . . فلما قدم
 له عقبة الطعام رفض النبي ﷺ أن يأكل حتى ينطق
 عقبة الشهادتين . . فنطق عقبة الشهادتين من وراء قلبه
 حتى يأكل النبي ﷺ . . فأكل النبي ﷺ ودعاهم إلى

(١) رواه البيهقي (٢/١٩٥)، والحاكم (٢/٣٦١).

الله ثم انصرف وكان هناك صديق لعقبة بن أبي معيط مسافراً وهو أبي بن خلف.. فلما عاد قال له المشركون: لقد أسلم عقبة وصباً ودخل في دين محمد ﷺ... فذهب إليه مغضباً وقال له: كيف تُسلم وتترك دين الآباء والأجداد... لن أكلمك حتى تكفر بمحمد وتذهب لتؤذيه.

فذهب عقبة إلى النبي ﷺ وجذبه من ثوبه وخنقه خنقاً شديداً وتفل في وجه النبي ﷺ حتى جاء أبو بكر ودافع عن رسول الله ﷺ فمات عقبة بن أبي معيط يوم بدر كافرًا ونزل فيه قول الله (عز وجل): ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١١﴾﴾.

* بل لقد حاولوا قتل النبي ﷺ أكثر من مرة ونجّاه الله (عز وجل).

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧-٢٩).

* ولم تكتفِ قريش بالإيذاء الجسدى للنبي ﷺ بل تعدى ذلك إلى الإيذاء المعنوى. . . فلقد اتهموه بأنه شاعر وساحر ومجنون وطردوه من مكة وهو يبكى ويقول: والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت .

* بل وصل الأمر إلى أن اتهموا النبي ﷺ في عرضه وشرفه. . . فاتهموا أمنا عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ بأنها فعلت الفاحشة. . . ونزلت براءتها من فوق سبع سماوات بقرآن يتلى إلى يوم القيامة فى سورة النور.

إسلام حمزة بن عبد المطلب

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه

وفى وسط هذا الظلم والإيذاء الشديد للنبي ﷺ وأصحابه حدث ما لم يتوقعه المشركون. . . فلقد أسلم حمزة بن عبد المطلب الذى كان الناس يعملون له ألف

حساب بسبب قوته وشجاعته .

وأسلم عدد آخر من الرجال . . على رأسهم : عمرو
ابن عبسة وضماد الأزدي وأبو ذر الغفاري .
ولكن الضربة القاضية لظهر المشركين بعد إسلام حمزة
هي إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقد أسلم عمر بعد إسلام حمزة بأيام وذهب إلى دار
الأرقم وأسلم بين يدي النبي صلوات الله عليه . . وأصر على أن
يخرجوا جميعاً أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد
أصبحوا أقوياء .

* وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمة التوحيد
أمام المشركين في صفين . . على رأس الصف الأول عمر
ابن الخطاب . . وعلى رأس الصف الثاني حمزة بن عبد
المطلب . فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء -
بفضل الله جل وعلا - .

* * *

إن إسلام (عمر) كان فتحاً

ولقد كان إسلامه سبباً عظيماً في ظهور الإسلام وقوته، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا يخاف في الله لومة لائم.

« قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ^(١)» .

وقال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه. وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.



(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٨٤) كتاب المناقب.

المشركون يعرضون على النبي ﷺ المال والمنصب

لما أكثر المشركون من التعذيب والاستهزاء والسخرية بالمسلمين رجاء أن يصددهم ذلك عن دينهم، وكان المسلمون لا يزدادون بذلك إلا إيماناً و يقيناً، فلما لم يفلحوا في ذلك، لجأوا إلى أسلوب آخر - بلُغَةِ العصر أكثر دبلوماسية - فأرادوا أن يعرضوا على النبي ﷺ عروضاً لعله يرجع عما هو عليه، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعوا إليه، فمن هذه العروض أنهم أرسلوا عتبة بن ربيعة ليعرض على الرسول ﷺ ما قد رآه حلاً للمشكلة^(١).

فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ -

يعني أباه - .

فسكت النبي ﷺ، قال: أنت خير أم عبد المطلب؟

(١) وثقات ثربوية (ص: ٨٨).

فصكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبدناها، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا أحداً أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشئت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً.

* والله ما بقى إلا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف فتقاتل حتى نفنى يا محمد: إن كنت تريد ملكاً ملكناك.. وإن كنت تريد المال أعطيناك من أموالنا ما تشاء وإن كنت مريضاً داويناك.

فلما انتهى الرجل من كلامه قال له رسول الله بكل أدب: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم.

قال: فاسمع مني، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿حَمَّ (١) نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

(١) سورة فصلت: الآيات: (١-٣).

فلما انتهى رسول الله؛ قام عتبة إلى أصحابه فقال لهم: والله لقد سمعت قولاً إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، ما هو بالشعر ولا بالكهانة، ولا يقول البشر، فاتركوا محمداً وأمره.

فلئن ظهر فمملكه مملككم، وإن كان غير ذلك هلك وحده.

فقالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه.

فقال لهم: لا تقولوا ساحر، ولا كاهن، ولا مجنون، بل قولوا: إنه يُسرق بين المرء وزوجه، فنزل القرآن يذكر هذه الحادثة، ويذم عتبة بن ربيعة^(١)، ويتوعده بالعذاب في الآخرة.



(١) انظر آيات سورة المدثر: الآيات: (١١-١٣).

الهجرة الأولى إلى الحبشة

كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة بدأت ضعيفة ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهراً فشهراً حتى اشتدت وتفاقت في أواسط السنة الخامسة .

* فلما رأى رسول الله ما يُصيب أصحابه من البلاء، ومما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام^(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٦٦).

* كان الرحيل إلى الحبشة تسلاً في الخفاء، حتى لا تستيقظ قريش للأمر فتُحبطه، ولم يبدأ كذلك على نطاق واسع، بل كان الفوج الأول مكوناً من بضع أسراً، فيهم رقية ابنة النبي عليه الصلاة والسلام وزوجها عثمان بن عفان، ونفر آخر من المهاجرين لم يزيدوا جميعاً عن ستة عشر. وقد يمموا شطر البحر حيث قيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، فلما خرجت قريش في آثارهم إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين^(١).

مفاجأة لا تخطر على البال

وفي رمضان في نفس السنة خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وهناك جمع كبير من قريش كان فيه ساداتها وكبرائها، فقام فيهم، وأخذ يتلو سورة النجم بغتة. إن أولئك الكفار لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك؛ لأن أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما توصى به

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٠).

بعضهم بعضاً، من قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وقرع
آذانهم كلام إلهي رائع وبقي كل واحد مصغياً إليه، لا
يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه
السورة ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٢) ثم سجد - لم يتمالك
أحد نفسه حتى خر ساجداً (٣).

فسجد المشركون خلف النبي ﷺ وأصحابه.

ويبلغ هذا الخبر إلى مهاجرى الحبشة، ولكن في صورة
تختلف تماماً عن صورته الحقيقية... بلغهم أن قريشاً أسلمت،
فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة فلما وصلوا إلى مكة
عرفوا حقيقة الأمر بأن قريشاً ما زالت على شركها.

فرجع منهم من رجع إلى الحبشة... ومنهم من دخل
مكة مستخفياً ومنهم من دخل في حماية رجل من أقربائه
المشركين.

(١) سورة فصلت: الآية: (٢٦).

(٢) سورة النجم: الآية: (٦٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٠٧١) كتاب الجمعة.

الهجرة الثانية إلى الحبشة

لما علمت قريش بـرجوع بعض الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى سلطت عليهم من العذاب ألواناً وضاعفت عليهم العذاب .

فلم ير الرسول ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة مرة أخرى إلى الحبشة . وكانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها . لكن المسلمين كانوا أسرع . فخرج منهم في هذا الفوج ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة، ويسر الله لهم السفر فانحازوا إلى نجاشي الحبشة . ووجدوا عنده ما يبعون من أمان وطيب جوار وكرم وفادة .

• وعاش المسلمون في رحاب النجاشي أسعد حياة في بلاد الحبشة ولما علمت قريش بتلك الهجرة أرسلت خلفهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة - وكانا

مازالا على الشرك -

أرسلتهم قريش بالهدايا إلى النجاشي ليرد إليهم هؤلاء المهاجرين فرفض النجاشي أن يردهم وبخاصة بعد أن تكلم معه جعفر بن أبي طالب وأخبره بحقيقة ما حدث للنبي ﷺ وأصحابه فتعاطف معهم النجاشي ورفض أن يردهم إلى المشركين وجعلهم يعيشون معه في أمن وأمان . . . بل وأسلم بعد ذلك وأسلم معه عدد كبير من الأحباش وكان يرسل النبي ﷺ .

وظل المسلمون في أمان حتى عادوا إلى المدينة في فتح خيبر .

✽ ولما مات النجاشي وعلم النبي ﷺ بذلك قام ليصلي عليه هو وأصحابه صلاة الغائب .

✽ ✽ ✽

الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة

فلما رأت قريشُ أمرَ رسولِ الله ﷺ يعلو، والأمر
تتزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بنى هاشم، وبنى
عبد المطلب، وبنى عبد مناف، أن لا يُبايعوهم، ولا
يُنَاكِحُوهم، ولا يُكَلِّمُوهم، ولا يُجَالِسُوهم حتى يُسَلِّمُوا
إليهم رسولَ الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة، وعلَّقوها
في سقف الكعبة.

وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب (مؤمنهم وكافرهم) إلا
أبا لهب فإنه وقف في صف كفار قريش في عداوتهم
لرسول الله ﷺ.

وحبس النبي ﷺ ومن معه في شعب أبي طالب
ثلاث سنوات فقد منع المشركون عنهم الطعام فلم يكن
لهم طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقهم وبلغ
بهم الجهد مبلغاً شديداً حتى كان الناس يسمعون صوت
بكاء الأطفال وصراخ النساء من وراء الشعب.

وكان الصحابة إذا قدمت غير إلى مكة، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالبوا على أصحاب محمد ﷺ حتى لا يدركوا معكم شيئاً. وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن لا خسارة عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يصرخون من الجوع. وليس من يده شيء يطعمهم به. ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى تعب المؤمنون ومن معهم من شدة الجوع والعري.

نقض الصحيفة الظالمة

وكانت قريش بين راضٍ وكارهٍ لهذه المقاطعة... وقد أحزنت تلك الآلام التي حدثت للمسلمين بعض ذوى الرحمة من قريش فكان أحدهم يحمل الزاد والطعام على ظهر البعير ثم يضربه في اتجاه الشعب ليصل إلى

المحصورين فيخفف عنهم شيئاً من الفقر والجوع
والحرمان .

* ثم سعى بعض الناس من قريش في نقض هذه
الصحيفة وكان القائم بهذا السعى هشام بن عمرو بن
ربيعة . . فقد ذهب إلى مطعم بن عدى وجماعة من
قريش فوافقوا على ذلك .

ولكن أمر الله كان قد سبقهم . . فقد أخبرهم النبي
ﷺ بأن الله قد سلط على الصحيفة حشرة «الأرصة»
فأكلت كل الشروط الظالمة من الصحيفة ولم يبق منها إلا
كلمة واحدة: «باسمك اللهم» .

* ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة . . وحصل
الصلح بالرغم من أنف أبي جهل .

* * *

عام الحزن

وما إن خرج النبي ﷺ وأصحابه من شعب أبي طالب حتى تتابعت عليه المحن والأحزان... فقد مات عمه أبو طالب الذي كان يدافع عنه وينصره... ولم تكن المصيبة في موته فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافراً مع أن النبي ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في عمره.

«عن المسيب بن موهب قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله»^(١).

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب
آخر ما كلمتهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول:
لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: «أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه
عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ صَحَابَ
الْجَحِيمِ﴾^(١) وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول
الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

«**وعن العباس بن عبد المطلب** **رضي**» قال للنبي ﷺ:
ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟
قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك
الأسفل»^(٤) من النار»^(٥).

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٣).

(٢) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

(٤) الدرك الأسفل: قعر البئر.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.

ولما مات أبو طالب وجدت قريش فرصة كبيرة لإيذاء النبي ﷺ فقد مات الذي كان يدافع عنه . . . فقام واحد من سفهاء قريش وألقى التراب على رأس النبي ﷺ . . . حتى قال النبي ﷺ : «مالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

* وكانت وفاة أبي طالب في رجب سنة عشر من البعثة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر.

* وما كاد النبي ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة ﷺ التي آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنصرة هذا الدين . . . وكانت نعم الزوجة.

وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره.

وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت

من أجل نُصرة هذا الدين كلِّ غَالٍ ونفيس فلم يستطع
النبي ﷺ أن ينساها أبدًا وكان يحمل لها وفاء يعجز
القلم عن وصفه .

فيها هو الحبيب ﷺ يُثنى عليها ويقول: «كَمُلَ من
الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم
بنت عمران - وخديجة بنت خويلد - وإن فضل عائشة على
النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (١).

¶ وقد علّق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث
تعليقًا لطيفًا فقال: من الموافقات اللطيفة التي جمعت
الثلاث في نسق واحد أن كل واحدة منهم كفلت نبيًا
مُرسلًا، وأحسنّت صحبته وآمنت به، فأسيا ربت موسى،
وأحسنّت إليه، وصدقت به حين بُعث، ومريم كفلت
عيسى وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبت
في النبي وواسته بنفسها ومالها، وأحسنّت صحبته، وكانت

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١)
كتاب فضائل الصحابة.

أول من صدَّقه حين نزل عليه الوحي .
ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها أبداً . بل ولم
يتزوج عليها حتى ماتت .

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يتزوج النبي ﷺ علي
خديجة حتى ماتت (١) .

« وعن أنس رضي الله عنه قال: «حسبك من نساء العالمين
مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية
امرأة فرعون» (٢) .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «سيدات
نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران وفاطمة وخديجة وآسية
امرأة فرعون» (٣) .



(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٦) كتاب فضائل الصحابة

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٧٨) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني
رحمة الله في صحيح الجامع (٣١٤٣) .

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٤١٥/١١ ، رقم ١٢١٧٩) ، وفي الأوسط
(٢٣/٢ ، رقم ١١٠٧) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة
الصحیحة (١٤٢٤) .

زواج النبي ﷺ بسودة ثم عائشة ﷺ

لقد كان أصحاب الحبيب ﷺ يعرفون قدر خديجة بنت خويلد عند النبي ﷺ فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقه الله (عز وجل) بما يخفف عنه من آلامه وأحزانه . . . ولكن لم يكن أي واحد منهم يجسرؤ أبداً أن يكلم النبي ﷺ في أمر الزواج فشاء الحق (جل وعلا) أن تنجراً واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهي خولة بنت حكيم لتعرض هذا الأمر على رسول الله ﷺ من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون.

جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج قال: «من؟».

قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً.

قال: «فمن البكر؟».

قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: «ومن الثيب؟».

قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك علي ما تقول.

قال: «فاذهبي فاذكريهما علي».

فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟
قالت: وما ذلك؟.

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي.

فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليك من الخير والبركة!.

قال: وما ذلك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال:
ارجعي إليه فقلولي له: «أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام،
وابنتك تصلح لي» فرجعت فذكرت ذلك له.

• لكن كانت هناك مشكلة كبيرة... وهي أن أبا بكر كان قد وعد مطعم بن عدى أن يزوج ابنه من عائشة فأراد أبو بكر أن يجد حلاً لهذه المشكلة وبخاصة أنه ما وعد أحداً وعداً فأخلفه أبداً.

ذهب أبو بكر إلى مطعم بن عدى وكانت عنده امرأته أم الفتى الذى كان يريد أن يتزوج عائشة...

فصالت هذه المرأة لأبى بكر: إنى لاخشى إن تزوج ابنى من ابنتك عائشة أن تجعله مسلماً ويشرك دين الآباء والأجداد... أى أنها لا تريد إتمام هذه الزيجة.

فنظر أبو بكر إلى مطعم بن عدى وقال له: ما رأيك.

قال: رأى مثل رأيها.

فخرج أبو بكر وهو يحمد الله أن يسر له الخروج من هذا الوعد دون أن يكون هو الذى أخلف وعده.

فرجع فقال لخولة: ادعى لى رسول الله ﷺ ،

فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما

أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قالت: وما ذلك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ، أخطبك إليه.

قالت: وددت، ادخلي إلي أبي فاذكري ذلك له، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية.

فقال: من هذه؟

قالت: خولة بنت حكيم.

قال: فما شأنك؟

قالت: أرسلني محمد بن عبد الله ﷺ، أخطب عليه

سودة.

فقال: كفء كريم، ماذا تقول صاحبتك؟

قالت: تحب ذلك.

قال: ادعها إلي.

فدعيتها قال: أي بنتي، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد

الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم،

الحبين أن أزوجك به؟ قالت: نعم.

قال: ادعيه لي، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

• وأما عائشة فقد عقد عليها النبي ﷺ قبل الهجرة

وهي بنت ست سنوات وتزوجها وبني بها بعد الهجرة

وقد بلغت من العمر تسع سنوات. . وكانت في هذا السن

ناضجة بالغة تستطيع أن تتحمل عبء الحياة الزوجية.



النبي ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف

في شوال سنة عشر من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، سارها ماشياً على قدميه ذهاباً وعودة، ومعه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب إليه واحدة منها؛ وهنا لنا أن نسأل: لماذا اختار رسول الله ﷺ الطائف وقبيلة ثقيف دون غيرها واتجه إليها؟

لماذا اختار النبي ﷺ الطائف؟

لقد كانت الطائف قريبة جداً من مكة وكانت من أهم البلاد لأهل مكة. ولقد حاولت مكة في الماضي أن تضم الطائف إليها، كما كان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف

ويقتضون فيها فصل الصيف، فإذا استطاع النبي ﷺ أن يجد له فيها موضع قدم وعصبة تناصره؛ فإن ذلك سيفزع قريشاً، ويهدد أمنها ومصالحها الاقتصادية تهديداً مباشراً، علاوة على أنها تقترب من مكانة مكة عند العرب.

فلما انتهى النبي ﷺ إلى الطائف ذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم: عبد ياليل ومسعود وحييب أبناء عمرو بن عمير الشقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرته الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة (أي يمزقها) إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ اللهُ أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام! ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكنموا عني».

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام،

لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به عبيدهم، فلما أراد الخروج تبعه عبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء - فذاه أبى وأمى ونفسى - وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى أصيب بجرح فى رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألقاه صلى الله عليه وسلم إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار، ودعا ربه فقال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور

وجهدك الذي أشرفت له الظلمات، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبي حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك» .

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له قلوبهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عدّاس، وقالوا له: خذ قطعاً من هذا العنب، واذهب به إلى هذا الرجل .

فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مد يده إليه قائلاً: «بسم الله»، ثم أكل، فقال عدّاس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له النبي ﷺ: «من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: أنا نصراني من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟»، قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي»، فأكسب عدّاس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها .

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عداس قالوا له: ويحك ما هذا؟ قال: يا

سیدی، ما فی الأرض شیء خیر من هذا الرجل، لقد
أخبرنی بأمر لا یعلمه إلا نبی، قال له: ویحك یا عداس،
لا یصرفنک عن دینک؛ فإن دینک خیر من دینہ^(۱).

وكان فی إقبال عداس علی رسول الله ﷺ،
وتصديقه وإكرامه بتقبيل يديه ورجليه وبكائه أمامه، ثم رقة
ابن ربيعة للرسول ﷺ وسماعهما كلام عداس بمثابة
اعتذار فعلى لرسول الله ﷺ وتهدة لنفسه.

وهكذا أسرعت إشارات الخیر والكرامة والإجلال،
فأقبلت تعتذر عن الشر والسفاهة والطيش، وجاءت
القُبُلات بعد كلمات العداوة، وكان ابنا ربيعة من ألدِّ
أعداء الإسلام، ومن مشوا إلى أبي طالب من أشرف
قريش يسألونه أن يكفه عنهم أو يخلي بينهم وبينه، أو
ينزلوه إياه حتى يهلك أحد الفريقين، فانقلبت الغريزة
الوحشية إلى معناها الإنساني الذي جاء به هذا الدين؛
لأن المستقبل الديني للفكر الصائب لا الغريزة العمياء.

(۱) سيرة ابن هشام (۱/ ۴۲۱).

وقفل الرسول ﷺ عائداً إلى مكة، إلى البلد الذي طرد خيرة أهله، فهاجر بعضهم إلى الحبشة وأكره الباقي على معاناة العذاب الواصب، أو الفرار إلى الجبال، ورجع رسول الله ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً حزيناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، يستأذنه أن يطبق الأخشيين (أى الجبلين) على أهل مكة.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم

قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك
الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن
شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: «بل
أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به
شيئاً» (١) (٢).

هكذا كانت الرحمة في قلب النبي ﷺ للناس من
حواله.

ولا عجب في ذلك فقد قال الله عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب
الجهاد والسير.

(٢) مدرسة السيرة النبوية / الشيخ محمد يعقوب (ص: ٢٧٨؛ ٢٨١).

(٣) سورة الانبياء الآية: (١٠٧).

إسلام نجر من الجن في وادي نخلة

وفي طريق عودته من الطائف، أقام الرسول ﷺ أياماً في وادي نخلة القريب من مكة، وخلال فترة إقامته هذه بعث الله إليه نفراً من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم، وأسلموا وعادوا إلى قومهم منذرين ومبشرين كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَبُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

ومن سياق هذه الآيات يتبين لنا أن النبي ﷺ لم يعلم حضور ذلك الشتر من الجن حين حضروا وسمعوا، وإنما علم بعد ذلك حين أطلعه الله عليه بهذه الآيات، وأن حضورهم هذا كان لأول مرة، ثم وفدوا بعد ذلك مراراً.

(١١) سورة الاحقاف آيات (٢٩-٣١).

قصة الإسراء والمعراج

حيايى الحلوين .
قبل أن نبدأ ذكر قصة الإسراء والمعراج فلا بد أن نكثر
من الصلاة على النبي محمد بن عبد الله ﷺ .

رحلة الإسراء والمعراج كانت تكريماً لشخص النبي ﷺ

وفى ظل هذه الأحزان الشديدة التى تعرض لها النبي
ﷺ كان من رحمة الله بالنبي ﷺ أن أكرمه برحلة
الإسراء والمعراج لتكون تكريماً له ﷺ ، وتسلياً له عما
أصابه من المصائب والأحزان ليزداد يقين النبي ﷺ
بنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه (جل وعلا) والنصر على
أعدائه .

وفى هذه الرحلة أطلعته الله على أشياء عظيمة من

ملكوته العظيم حتى امتلأ قلب النبي ﷺ بالنور والرضا
والطمأنينة.

رحلة الإسراء وشق صدر النبي ﷺ

كان النبي ﷺ نائمًا في بيت أم هانئ بنت أبي
طالب وكان بيتهما عند شعب أبي طالب.

وفجأة انفتح سقف بيتها ونزل جبريل (عليه السلام)
فتعجب النبي ﷺ وسأل جبريل عن سبب نزوله
فأخبره جبريل أنه لا بد أن يخرج معه الآن إلى المسجد.

فخرج معه النبي ﷺ إلى المسجد وإذا بجبريل (عليه
السلام) يشق صدر النبي ﷺ ثم يغسله بماء زمزم ثم
جاء بطست من الذهب قد امتلأ حكمة وإيمانًا فأفرغها في
صدر النبي ﷺ ثم أغلق صدره.

ونحن نعلم يا أحبائي أن جبريل (عليه السلام) شق
صدر النبي ﷺ ثلاث مرات:

المرّة الأولى: وهو صغير يلعب مع الغلمان فأخذه

جبريل فصرعه فشق صدره واستخرج القلب واستخرج منه علقمة وقال له: هذا حظ الشيطان منك ثم غسل صدر النبي في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاد صدره كما كان.

والمرّة الثانية: عند بعثة النبي . . . فقد فعل جبريل معه مثلما فعل في المرّة الأولى لكن زاد في هذه المرّة أن ختم في ظهر النبي ﷺ خاتم النبوة.
والمرّة الثالثة: عند رحلة الإمراء والمعراج.

النبي ﷺ يركب البراق

وبعد أن غسل جبريل صدر النبي ﷺ أثناء بالبراق.
والبراق: هو دابة أبيض طويل وهو أكبر من الحمار وأصغر من البغل.
وهو سريع جداً يضع حافره عند آخر شيء يراه ببصره.

فخطوته كبيرة جداً يقطع بها المسافات الطويلة في

وقت قصير .

✽ فلما أراد النبي ﷺ أن يركب البراق استصعب عليه فلم يتمكن النبي ﷺ من ركوبه . . فقال جبريل للبراق: أتفعل هذا بمحمد ﷺ؟ فوالله ما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه ﷺ .

✽ وما هي إلا دقائق معدودات حتى وصل النبي ﷺ إلى بيت المقدس ثم ربط جبريل البراق بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم) .
ثم دخل النبي ﷺ المسجد وصلى فيه ركعتين .
ثم خرج النبي ﷺ بعد ذلك وإذا بجبريل ينتظره في الخارج ومعه إناء فيه خمر وإناء آخر فيه لبن .

فنظر جبريل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله:
أيهما تختار: الخمر أم اللبن؟
فاختار النبي ﷺ اللبن .

فقال له جبريل (عليه السلام): لقد اخترت الفطرة^(١) .

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان .

رحلة المعراج

وبعد أن انتهت رحلة الإسراء بدأت رحلة المعراج فجاء جبريل (عليه السلام) بالمعراج العظيم الذي يصل من الأرض إلى السماء... وهو السلم الكبير الذي صعد عليه النبي ﷺ في جزء يسير من الليل إلى السماوات السبع.

وبالنهاية من رحلة عظيمة يعجز القلم عن وصفها. فالنبي ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج به إلى السماوات السبع ثم عاد في جزء يسير من الليل.



المشاهد التي رآها النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج (١)

لقد رأى النبي ﷺ في رحلة الإسراء مشهداً
عجيباً!!!

يا ترى ما هو المشهد الذي رآه النبي ﷺ في رحلة
الإسراء؟

لقد رأى موسى (عليه السلام) وهو يصلي في قبره.
قال ﷺ: «مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكئيب
الأحمر وهو قائم في قبره يصلي».

النبي ﷺ يرى الأنبياء ويسلم عليهم

ففي رحلة المعراج لما صعد النبي ﷺ مع جبريل
(عليه السلام) إلى السماء الدنيا فقالت الملائكة لجبريل:
من هذا الذي معك.

(١) انظر البخاري (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، وسلم (١٩٢) كتاب الإيمان.

قال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .

فرحبت به الملائكة ترحيباً شديداً وفرحوا بلقاء النبي ﷺ فرحاً عظيماً... فالنبي ﷺ هو حبيب أهل الأرض والسماء.

صعد النبي ﷺ إلى السماء الأولى فوجد فيها رجلاً وقوراً عن يمينه أناس كثيرون وعن يساره أناس كثيرون. فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى. فسأل النبي ﷺ جبريل (عليه السلام) وقال له: من هذا الرجل؟

فقال جبريل: هذا آدم (عليه السلام) وهؤلاء الذين عن يمينه وشماله هم أولاده... فالذين عن يمينه هم أهل الجنة.

فإذا نظر إليهم ضحك... والذين عن شماله هم أهل النار فإذا نظر إليهم بكى.

فاقترب النبي ﷺ من أبينا آدم (عليه السلام) وسلم عليه فردَّ عليه السلام وقال له: مرحباً بالنبي الصالح

والابن الصالح .

• ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء الثانية فسألت
الملائكة جبريل (عليه السلام): من هذا الذي معك؟
فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .
ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً . . . وفتحت له أبواب
السماء الثانية .

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الثانية وجد فيها
عيسى ويحيى عليهما السلام، فقال له جبريل عليه
السلام: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلم النبي
ﷺ عليهما فرداً عليه السلام وقالوا له: مرحباً بالنبي
الصالح والأخ الصالح .

• ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء الثالثة فسألت
الملائكة جبريل (عليه السلام) من هذا الذي معك؟
فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .
ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً . . . وفتحت له أبواب
السماء الثالثة .

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الثالثة وجد فيها يوسف (عليه السلام).

فقال له جبريل (عليه السلام): هذا يوسف فسلم عليه .
فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والآخر الصالح .

* ثم صعد النبي إلى السماء الرابعة فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام) من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .
ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً . . . وفتحت له أبواب السماء الرابعة فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الرابعة وجد فيها إدريس (عليه السلام) فقال له جبريل (عليه السلام): هذا إدريس فسلم عليه .

فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والآخر الصالح .

* ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء الخامسة فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام): من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .

ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً . . . وفتحت له أبواب السماء الخامسة .

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء الخامسة وجد فيها هارون (عليه السلام) .

فقال له جبريل (عليه السلام): هذا هارون فسلم عليه .

فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ عليه السلام وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والآخر الصالح .

ثم صعد النبي ﷺ إلى السماء السادسة فسالت الملائكة جبريل (عليه السلام) من هذا الذي معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .

ففرحت الملائكة به فرحاً عظيماً . . . وفتحت له أبواب السماء السادسة .

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء السادسة وجد فيها موسى (عليه السلام) .

فقال له جبريل (عليه السلام): هذا موسى فسلم عليه .

فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبي
الصالح والأخ الصالح.

فلما جاوزه النبي ﷺ ليصعد إلى السماء السابعة
وإذا بنى الله موسى يبكي فقيل له: ما يبكيك؟
قال: أبكى لأن محمدًا ﷺ يدخل الجنة من أمته
أكثر ممن يدخلها من أمتي.

✽ ثم صعد النبي إلى السماء السابعة فسألت الملائكة
جبريل (عليه السلام): من هذا الذي معك؟
فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا... وفتحت له أبواب
السماء السابعة.

فلما صعد النبي ﷺ إلى السماء السابعة وجد فيها
إبراهيم (عليه السلام) فقال له جبريل (عليه السلام): هذا
إبراهيم فسلم عليه.

فسلم النبي ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبي
الصالح والابن الصالح.

« فرأى النبي ﷺ إبراهيم (عليه السلام) مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة .
 فسأل النبي ﷺ جبريل (عليه السلام): ما هذا البيت؟
 فقال جبريل: هذا البيت المعمور يصلّى فيه كل يوم سبعون ألف ملك فإذا خرجوا لم يعودوا إليه
 كل يوم سبعون ألف ملك غير الذين قبلهم .

النبي ﷺ يرى سدره المنتهى

ثم رأى النبي ﷺ سدره المنتهى ووجد أن الثمرة الواحدة فيها مثل الجرة الكبيرة التي كانت تُصنع في قرية هجر في البحرين ورأى ورقها مثل أذان القيلة .
 فسأل النبي ﷺ جبريل (عليه السلام): ما هذا .
 فقال: هذه سدره المنتهى .

« ورأى النبي أربعة أنهار: نهران ظهران ونهران باطنان
 فسأل النبي ﷺ جبريل (عليه السلام) وقال: «ما هذا؟» .
 فقال جبريل: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة وأما

النهران الظاهران فالنبيل والفرات .

• ثم أتى جبريل للنبي ﷺ إنياءً من خمرة وإنياءً من لبن وإنياءً من عسل فاختر النبي ﷺ اللبن .
فقال جبريل : هذه هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك .

فرض الصلاة على النبي ﷺ وأمته

ثم فرضت الصلاة على النبي ﷺ وأمته خمسين صلاة كل يوم .

فعاد النبي ﷺ وفي طريق العودة مرَّ النبي ﷺ على موسى (عليه السلام) فسأله موسى وقال : بأي شيء أمرك الله (جل وعلا) .

فقال النبي ﷺ : «أمرت بخمسين صلاة كل يوم» .

فقال موسى (عليه السلام) : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

فعاد النبي ﷺ إلى ربه وسأله التخفيف فوضع الله

عنه عشراً فأصبحت أربعين صلاة .

فعاد النبي ﷺ إلى موسى (عليه السلام) فقال له
نفس الكلام وقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
لأمك .

فعاد النبي ﷺ إلى ربه وسأله التخفيف فوضع عنه
عشراً فأصبحت ثلاثين صلاة .

وظل النبي ﷺ على تلك الحالة حتى أصبحت
الصلاة خمس صلوات . . . فلما قال له موسى (عليه
السلام) : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمك .

**قال له النبي ﷺ : «لقد سألت ربي حتى استحييت ولكن
أرضى وأسلم» .**

فإذا بالحق (جل وعلا) يجعلها خمس صلوات ولكن
بأجر خمسين صلاة .



رؤية النبي ﷺ لمالك خازن النار والمسيح الدجال

وفي هذه الرحلة المباركة رأى النبي ﷺ أشياء
عجبية .

وكان من بين تلك الأشياء التي رآها النبي ﷺ أنه
رأى المسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان . . ووصفه
النبي ﷺ لأصحابه وصفاً دقيقاً .

ورأى النبي ﷺ مالكا خازن النار وطلب جبريل
(عليه السلام) من النبي ﷺ أن يسلم على مالك فسلم
النبي ﷺ عليه فردَّ عليه السلام .

ولقد وصفه النبي ﷺ لأصحابه وأخبرهم بأنه كرهه
المنظر . . وذلك ليكون زيادة في عذاب أهل النار .



رؤية النبي ﷺ للذين يفتابون الناس

وفي هذه الرحلة رأى النبي ﷺ منظرًا عجيبيًا...
فلقد رأى النبي ﷺ قوماً لهم أظفار من نحاس يُقطعون
بها وجوههم وصدورهم فتعجب النبي ﷺ وسأل
جبريل (عليه السلام) وقال له: «من هؤلاء يا جبريل؟»
فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون
في أعراضهم.

أى: هؤلاء الذين يفتابون الناس ويقولون عنهم كلاماً
سيئاً في غيبتهم.

رؤية النبي ﷺ لخطباء أمته

الذين يقولون ما لا يفعلون

وفي هذه الرحلة أيضاً رأى النبي ﷺ منظرًا عجيبيًا.
لقد رأى النبي ﷺ قوماً تُقرض وتُقطع شفاههم
بمقاريض من النار فسأل جبريل (عليه السلام) وقال: «من

هؤلاء يا جبريل؟

فقال جبريل: هؤلاء خطباء أمتك الذين كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون .

مرور النبي ﷺ

على رائحة ماشطة ابنة فرعون

وفي هذه الرحلة . . . بينما كان النبي ﷺ يصعد مع جبريل (عليه السلام) إلى السماوات السبع إذ مرت عليه رائحة طيبة فتعجب النبي ﷺ .

وسأل جبريل: ما هذا يا جبريل؟

فقال جبريل: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها .

فسأله النبي ﷺ عن قصتها .

فقال جبريل (عليه السلام): هذه امرأة كانت تعمل في

قصر فرعون وكانت وظيفتها أنها ماشطة ابنة فرعون . .

فهي التي تربيها وتمشط شعرها وتدبر كل أمورها .

وفي يوم من الايام كانت هذه الماشطة تمشط شعر ابنة فرعون فسقط عنها المشط فمدت يدها وقالت: بسم الله.

فقال ابنة فرعون: أبى؟!

فقال الماشطة: إن أبك ليس إلهاً.. ولكنى أقول:

بسم الله الذى هو ربى وربك ورب أبىك.

فقال ابنة فرعون: سأخبر أبى بذلك.

فقال الماشطة: افعلى ما شئت.

فذهبت ابنة فرعون لأبيها وأخبرته أن الماشطة تعبد إلهاً غيره فأرسل إليها فرعون وسألها: هل تعبدين إلهاً غيرى؟

فقال الماشطة: أعبد الله ربى وربك ورب العالمين.

فأمر فرعون ببقرة من نحاس فأحميت فى النار ثم أمر الجنود والحراس بأن يلقوها هى وأولادها فيها حتى يموتوا جميعاً.

فطلبت من فرعون طلباً واحداً.. وهو أن يجمع عظامها وعظام أولادها بعد الموت ويجعلهم جميعاً فى قبر واحد.

فوافق فرعون على ذلك .
وأمر الجنود بالقضاء عليها هي وأولادها .
فبدأوا يأخذون أولادها واحداً واحداً ويلقوه في البقرة
النحاسية ليموت أمام أمه .
وهي ترى هذا المشهد المنفزع أمام عينيها وتصبر
وتحتسب .
إلى أن جاء الدور على طفلها الصغير الذي تُرضعه
فأخذوه من على صدرها فكادت أن تُفتن فأنطق الله
طفلها الرضيع فقال: يا أمي اقتحمي فإن عذاب الدنيا
أهون من عذاب الآخرة .
فاقتحمت وألقت بنفسها في البقرة النحاسية فماتت .
فأكرمها الله (جل وعلا) بأن تحولت رائحة عظامهم
بعد الحرق إلى رائحة طيبة شمها النبي ﷺ في رحلة
المعراج .



النبي ﷺ يرى الجنة والنار

وفي هذه الرحلة المباركة رأى النبي ﷺ الجنة والنار . . . لقد رأى النار . . . ورأى بعض مشاهد العذاب لأهل النار . . . ورأى الجنة . . . ورأى بعض مشاهد نعيم أهل الجنة .

هبوط النبي ﷺ إلى بيت المقدس

وبعد هذه الرحلة العظيمة عاد النبي ﷺ مع جبريل (عليه السلام) وهبطاً مرة أخرى إلى بيت المقدس وهبط معه كل الأنبياء الذين رآهم النبي ﷺ في السماوات السبع .

ودخلوا جميعاً بيت المقدس فصلى بهم النبي ﷺ إماماً ليعرف الكون كله أن النبي ﷺ هو سيد الأولين والآخرين .

ثم ركب النبي ﷺ البراق وعاد إلى مكة مرة أخرى .

* وكان وقت هذه الرحلة العظيمة هو جزء يسير من الليل.

قريش تكذب النبي ﷺ

ولما عاد النبي ﷺ إلى مكة وحكى لبعض أصحابه عن تلك الرحلة وصل الخبر لكفار قريش فسخروا من النبي ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أسرى بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج بك إلى السماء السابعة ثم عدت مرة أخرى في جزء يسير من الليل.

فقال النبي ﷺ: «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

فوافق النبي ﷺ على ذلك.. وبدأ يصف لهم المسجد لكنه لم يستطع أن يكمل الوصف لأنه رأى المسجد ليلاً ولم يكن قد رأى كل شيء بوضوح... فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجد الأقصى حتى وضعت أمام النبي

ﷺ فأخذ النبي ﷺ ينظر إليه ويصفه لكفار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم يعلمون أن النبي ﷺ لم يذهب إلى هناك.

موقف أبي بكر الصديق من رحلة الإسراء والمعراج

ولما سمع المشركون عن رحلة الإسراء والمعراج ذهبوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقالوا له: إن محمداً يزعم أنه أسرى به الليلة إلى المسجد الأقصى في جزء من الليل ونحن نقطع هذه المسافة في شهر كامل فماذا تقول يا أبا بكر؟
فقال أبو بكر: إن كان النبي ﷺ قال ذلك فقد صدق.. إني لأصدقه في خبر السماء أفلا أصدقه في بيت المقدس.

* فلما رأى النبي ﷺ تكذيب كفار قريش له، قال جبريل (عليه السلام): «يا جبريل إن قومي لا يصدقوني».
فقال جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق.

النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل

حرص الرسول ﷺ على الاجتماع بالناس وتبليغهم دعوة الإسلام، وكان يتحرى مواضع اجتماع القبائل وخاصة في موسم الحج وفترات عقد أسواق العرب، حيث كان يلتقى بذوى الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم، وكان يطالب الرؤساء بحمايته دون أن يكره أحداً على قبول دعوته .

* ولم يعرف اليأس يوماً طريقه إلى قلب الرسول ﷺ . . . فقد كان حريصاً على هداية الناس جميعاً وكان يتمنى أن يأخذ بأيدي الناس جميعاً إلى جنة الرحمن (جل وعلا) .

* وفي تلك الفترة أسلم بعض الناس مثل: إياس بن معاذ وسويد بن صامت ولكن النبي ﷺ كان يطمع في إسلام المزيد من العرب القادمين إلى مكة .

إسلام ست نسمات من أهل يثرب

نحن نعرف أن يثرب (المدينة المنورة) كانت من أهم مدن أرض الجزيرة.. فهي معروفة بزراعة التمر.. وكان العرب يحبون التمر لأنه طعامهم الأساسي ومنه يصنعون الخمر أيضاً.

وكذلك فإن يثرب هي ممر القوافل التجارية لقريش.

* وكان أهل يثرب ينقسمون إلى قبيلتين هما الأوس والخزرج وكان بين القبيلتين نزاعات وحروب طاحنة دامت لسنوات طويلة لأسبابٍ تافهة.. وكان من أشهر تلك الحروب (يوم بعاث) وهو اليوم الذي قُتل فيه عدد كبير من الأوس والخزرج.

* وكان من مصلحة اليهود الذين يعيشون في يثرب أن تظل الحروب قائمة بين الأوس والخزرج لأنهم كانوا يتاجرون في السلاح فكلما هدأت نار الحرب بينهما

أشعلها اليهود حتى يستفيدوا من بيع السلاح للطرفين .
 * وظلت الحروب دائرة بين الأوس والخزرج لسنوات
 طويلة حتى استنفذت أموالهم وقتلت رجالهم ويثمت
 أطفالهم . . حتى إن بعضهم كان يتمنى أن يجد سبيلاً
 لوقف هذا النزيف من الدماء والأموال .

* وفي المقابل كان اليهود يخبرون أهل يثرب أن
 الأرض تنهياً الآن لاستقبال نبي آخر الزمان . . . وأنهم -
 أي اليهود - سيتبعون هذا النبي . . . وكان اليهود يطمعون
 في أن يكون هذا النبي منهم .

وظل اليهود يقولون هذه البشارة لكل الناس حتى
 انتشر في ربوع يثرب كلها أن الأرض تنهياً الآن لاستقبال
 نبي آخر الزمان .

* وفي موسم الحج من سنة ١١ من النبوة . . يوليو
 سنة ٦٢٠م خرج النبي ﷺ يدعو الناس إلى دين الله
 (جل وعلا) ولم يستجب له أحد . . ولكنه لم ييأس أبداً .
 وبينما كان النبي ﷺ يبحث عن من يكلمه ويدعوه

إلى الله وجد ستة من الشباب يحلقون رؤوسهم في مكان يُسمى (العقبة) . . وكانوا من عُقلاء يثرب الذين تعبوا من شدة الحروب ومآسيها .

فكانوا مع موعد مع سعادة الدنيا والآخرة . . فقد دخل عليهم النبي ﷺ يكلمهم ويدعوهم ويتلو عليهم القرآن ثم عرض عليهم الإسلام فأسلموا ولم يترددوا لحظة واحدة .

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه، فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام .

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فنُدعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا» .

بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته في قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب وسبعة سواهم.

• وتمت بيعة العقبة الأولى... فقد بايعوا رسول الله ﷺ على ترك الشرك وعبادة الأصنام والبعد عن المعاصي وعلى الإيمان والطاعة... ووعدهم النبي ﷺ بالجنة إن عاشوا على الإيمان والطاعة.

• ثم ودعهم النبي ﷺ بعد أن عاهدهم وعاهدوه

على اللقاء في العام التالي .

سفير الدعوة الأول إلى المدينة

وبعدما أتم وفد الأنصار بيعة العقبة الأولى وعادوا إلى المدينة رأى النبي ﷺ أن يبعث معهم رجلاً رحيماً فقيهاً يعلمهم القرآن والسنة ويفقههم في الدين . . . فأرسل معهم مصعب بن عمير الذي ضحى بحياة النعيم والرفاهية ليصبح عبداً لله (جل وعلا) وداعية صادقاً .

✦ ذهب معهم مصعب بن عمير وأخذ يدعو الناس بالرفق والرحمة حتى أسلم على يديه عددٌ كبير من أهل يثرب (المدينة) . . . حتى لم يبق بيت في المدينة إلا دخله الإسلام .

وقبل حلول موسم الحج التالي - أي: حج السنة الثالثة عشرة - عاد مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشارت الفوز، ويقص عليه خبر

قبائل يثرب، ويبشره بأن جموعاً غفيرة دخلت في الإسلام
عن اقتناع مسّ شغافهم، وبصرٍ أنار أفكارهم، وسوف يرى
من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين.

بيعة العقبة الثانية

وفي العام التالي رحل ثلاثٌ وسبعون رجلاً وامرأتان
من أهل يثرب إلى النبي ﷺ ليبيعه بيعة العقبة الثانية
وهي أهم بيعة على مدار التاريخ الإسلامي .
وفي ظلمة الليل تسلل أهل يثرب إلى العقبة للقاء
النبي ﷺ سراً حتى لا تعلم قريش بهذه البيعة .
وجاء النبي ﷺ ومعه عمه العباس الذي كان في
هذه اللحظة مازال مشركاً لكنه أراد أن يعظم ابن
أخيه رسول الله ﷺ .

• ويا لها من لحظة سعيدة لا أستطيع أن أصفها . .
عندما التقى أهل يثرب برسول الله ﷺ .

وهنا قالوا: يا رسول الله على ما نبايعك؟

قال: اتبايعونى على السمع والطاعة فى المنشط والكسل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا لله ، لا تخافوا فى الله لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة^(١) .

فتقدموا جميعاً وبايعوه وفازوا بهذا الشرف العظيم .

شيطان يكشف المعاهدة

ولما تم إبرام المعاهدة اكتشفها أحد الشياطين وقام على أرض مرتفعة وأخذ يصرخ من رأس العقبة على قريش : يا أهل المنازل ، هذا محمد والصُّبَاء^(٢) قد أجمعوا على حربكم فعرف النبي ﷺ أن هذا هو شيطان العقبة فقال له : أسمع يا عدو الله أما والله لأفرغن لك .

✽ ثم أمر النبي ﷺ أصحابه أن يرجعوا إلى رحالهم

(١) صحيح: رواه أحمد (٤٧-١٤) باقى مستند الكثيرين ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣) .

(٢) جمع صائب - وكان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبي أنه صائب .

حتى لا يتكشف أمرهم . . .

فقال له العباس بن عباد بن نضله: والله الذي بعثك

بالحق: إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسياقنا؟

قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم تؤمر بذلك، ولكن

ارجعوا إلى رحالكم».

قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فمنا عليها حتى أصبحنا.

الهجرة من مكة إلى المدينة

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية وأصبح هناك وطن جديد يستطيع أن يأوى إليه النبي ﷺ وأصحابه . . . كان لابد من الهجرة من مكة (التي رفض أهلها هذا الدين العظيم) إلى المدينة التي استقبلت النبي ﷺ ودعوته بكل حب وحفاوة.

❖ ولم تكن الهجرة فراراً أو هروباً من أذى المشركين بل هي إنها قبل أي شيء أمثال لأمر الله (جل وعلا) فهو

الذى أوحى لنبيه بالهجرة .

وكذلك كانت الهجرة من أجل الهروب من الفتن
والابتلاءات والأذى . . وكذلك كانت الهجرة من أجل
نشر دعوة النبي ﷺ وتربية جيل فريد لينشر هذه الدعوة
فى بقاع الأرض كلها .

لماذا الهجرة إلى المدينة؟

هناك أسباب واضحة لهذه الهجرة إلى المدينة . . وهناك
أسباب وحكم لا يعلمها إلى الله .
أما عن بعض الأسباب الواضحة لهجرة النبي ﷺ
إلى المدينة دون غيرها :

* لأنها كانت مُحصنة من أكثر الجهات بالجبال
والصحور السوداء بحيث أنه لا يستطيع أى جيش أن
يغزوهم إلا من جهة واحدة وبذلك يسهل مقاومة أى
جيش قادم إلى المدينة .

* أن أهل المدينة من الأوس والخزرج كانوا أصحاب قوة

وخبرة فى الحرب والفروسية وفنون القتال .

* أن بنى عدى بن النجار الذين يعيشون فى المدينة هم
أحوال النبى ﷺ فكان تكريماً لهم أن يكون النبى
ﷺ معهم فى المدينة .

النبى ﷺ يأذن لأصحابه بالهجرة

وأوحى الله إلى النبى ﷺ بأن يأمر أصحابه بالهجرة
إلى المدينة المنورة ولكن كان لابد من أن تكون الهجرة سرّاً
حتى لا يعلم المشركون بذلك فيمنعوهم من الهجرة .
وبدأت وفود المؤمنين تهاجر سرّاً من مكة إلى المدينة .
ويا لها من خطوة تحتاج إلى صدق وإخلاص وعزيمة
فقد تركوا الديار والأموال والأهل والأصحاب وفارقوا
الأوطان حتى يفوزوا برضوان الله وجنته .
* وكان أول من هاجر: أبو سلمة بن عبد الأسد
وزوجته أم سلمة ولكن أهلها احتبسوها ومنعوها من
الهجرة .

وأخذ أهل زوجها ابنها سلمة . . . وظلت تبكى فراق
ابنها وزوجها قرابة سنة حتى رآها أحد أبناء عمها فحزن
لبكائها وذهب إلى أهلها وطلب منهم أن يتركوها تذهب
إلى زوجها فوافقوا . . . وعند ذلك قام أهل زوجها وردوا
إليها ولدها سلمة فأخذته وهاجرت إلى المدينة . . . وجمع
الله شمل الأسرة مرة أخرى .

* وهاجر أصحاب الرسول ﷺ إلى المدينة سرّاً إلا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد خرج علانية أمام المشركين
فأخذ سيفه ورُمحه ومضى نحو الكعبة فوجد المشركين
جالسين عند الكعبة فطاف بها سبعة أشواط ثم أتى المقام
فصلى ركعتين وقال للمشركين: من أراد أن يفقده أمه أو
يرمل زوجته أو يصبح ولده يتيماً فليلقني خلف هذا
الوادي . . . فخافوا جميعاً ولم يتبعه رجل منهم .

* وبعد هجرة أصحاب الرسول ﷺ أصبحت مكة
خاوية من المؤمنين ولم يبق إلا عدد قليل ممن حبسهم
قريش . . . وبقي أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب

ورسول الله ﷺ فقد كان ينتظر الأذن من الله (جل
وعلا) بالهجرة.

اجتماع طارئ في دار الندوة

وهنا أحست قريش بأن الخطر يحيط بها من كل
جانبه.

فقد استطاع المسلمون أن يهربوا إلى المدينة ويخرجوا
من قبضة قريش ولقد أسلم أكثر أهل المدينة فأصبحت دار
أمان للمسلمين بل أصبحت دولة للمسلمين.

فما كان منهم إلا أن عقدوا اجتماعًا طارئًا في دار
الندوة التي كانوا يتشاورون فيها في كل القرارات
المصيرية.

لقد علموا أن النبي ﷺ ستشر دعوته وسيرجع مرة
أخرى ليدخلهم في دينه أو يقاتلهم.. فلا بد من قرار
حاكم في هذه المسألة حتى ينجوا من هذا الخطر الذي
يحيط بهم.

فراى بعضهم أن توضع القيود فى يد النبى ﷺ ويوضع فى السجن حتى يموت .

وهناك من رأى أن ينفوه من البلاد ولا يدخل مكة أبداً ورفض الجميع هذين الاقتراحين لأنهم لو فعلوا ذلك ستتشر دعوة النبى ﷺ فى كل البلاد .

فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً قوياً، ثم نُعطى كلاً منهم سيفاً، فإذا خرج محمد من داره ضربه ضربة رجل واحد فمات، فلا تقدر بنو هاشم على حرب العرب كلها؛ فيأخذون منا الدية^(١) .

ورضى المتآمرون بهذا الحل وفرحوا به فقد كان هو الحل الأمثل لتلك المشكلة التى حيرتهم .

وانصرفوا ليقوموا على إنفاذه وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢)

(١) والدية هى مبلغ من المال يُدفع لاهل القتل .

(٢) سورة الانفال: الآية: (٣٠) .

ولكن الله لا يُسلم حبيبه ﷺ لأعدائه فقد أرسل إليه جبريل (عليه السلام) ليخبره بما يدبره المشركون وليأمره بأن يهاجر في هذه الليلة ولا يبيت في داره .

على ﷺ ينام مكان النبي ﷺ في ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يراقبونه حتى إذا نام انقضوا عليه وقتلوه جميعاً . فلما رأى النبي ﷺ مكانهم أمر على بن أبي طالب أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى .

ثم أمر علياً بأن يرد كل الودائع والأمانات التي عنده لأصحابها .

♦ ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبي ﷺ ، وتحارب دعوته ، وتريد أن تقتله . . . لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيء ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان

يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ .

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتأمرين فناموا .
ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفته من التراب
ووضعها فوق رؤوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى:
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا
يُصْروْنَ ﴾ (١) .

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي
جهز نفسه للهجرة مع رسول الله ﷺ .
فأناهم أت من لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟
قالوا: محمداً .

قال: خيبتكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم
ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق
لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يداً على رأسه، فإذا عليه
تراب، ثم جعلوا يتظلعون، فيرون علياً على الفراش .

(١) سورة يس: الآية: (٩) .

فظنوا أن النبي ﷺ ما زال نائماً مكانه . . . فدخلوا
وكشفوا الغطاء فوجدوا على بن أبي طالب فسألوه عن
مكان النبي ﷺ فقال: لا أدري قد تركني هنا لأرد
إليكم أماناتكم .

فقالوا: لقد صدقنا هذا الرجل الذي أخبرنا بخروج

محمد ﷺ .

وبدأت هجرة الرسول ﷺ

وذهب النبي ﷺ إلى أبي بكر وأخبره بأن الله قد
أذن له بالهجرة ففرح أبو بكر حتى بكى بكاء شديداً من
شدة الفرح .

وأعدَّ أبو بكر الراحلتين وأعدَّ الزاد والماء وبدأت رحلة
الهجرة التي كانت أعظم حدث في تاريخ الإسلام
والمسلمين .

وخرج النبي ﷺ من مكة ومعه أبو بكر الصديق
رضي الله عنه حتى وصلا إلى غارٍ قريب من مكة . . وهو غار

«ثور» فدخل أبو بكر الغار حتى يطمئن على أنه ليس فيه شيء يؤذي النبي ﷺ .

فلما دخل إلى الغار مسحه ونظفه ووجد في جدار الغار بعض الفتحات فقام وسدّها كلها ما عدا واحدة فما كان منه إلا أن جلس على الأرض وسدّها بقدمه ثم نادى على الرسول ﷺ ليدخل الغار آمنًا مطمئنًا.

ودخل النبي ﷺ وأراد أن ينام ويستريح فوضع رأسه على رجل أبي بكر ونام . . .

وفي تلك اللحظة جاء ثعبان أو عقرب ولدغ أبا بكر ومع ذلك لم يوقظ الرسول ﷺ من نومه واشتد الألم على أبي بكر فبكى بلا صوت ونزلت دموعه على خد النبي ﷺ فاستيقظ النبي ﷺ وسأله: «ما بك يا أبا بكر؟» .

قال: لدغت يا رسول الله .

فقال النبي ﷺ: «ولماذا لم تخبرني؟» .

فقال أبو بكر: خشيت أن أوقظك وأنت بحاجة إلى

النوم لكي تستريح يا رسول الله .

فقام النبي ﷺ فبصق على قدم أبي بكر فشُفيت
بإذن الله ودعا له النبي ﷺ بالجنة .

* وفي هذه اللحظة كان المشركون يتبعون آثار أقدام
الرسول ﷺ وصاحبه . . . ويحثوا عنهما في كل مكان
حتى وصلوا إلى الغار الذي كان فيه النبي ﷺ وأبو
بكر .

فنظر أبو بكر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله لو
نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا .

فقال له النبي ﷺ بكل ثقة ويقين: يا أبا بكر ما ظنك
بأثنين الله ثالثهما .

* لقد حفظ الله نبيه ﷺ وأعمى أبصار المشركين
عن رؤية النبي ﷺ وصاحبه رغم أنهم كانوا على بُعد
أمتار قليلة منهما .

* ومكث النبي ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام .
وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي بالطعام إليهما وكانت

قد شقت نطاقها (١) نصفين فجعلت الطعام في أحدهما وربطت وسطها بالآخر ولذلك سماها النبي ﷺ بذات النطاقين وقال لها: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة».

* وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي كل ليلة ويبيت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر فإذا أصبح الصباح عاد إلى مكة وكأنه كان فيها لم يخرج منها حتى يستمع إلى كلام المشركين وما يدبرونه للنبي ﷺ وصاحبه ثم يعود إلى الغار في الليل ليخبر النبي ﷺ بكل ما سمعه.

* وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يخرج بالأغنام لتمسح آثار أقدامها آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر فلا يعرف أحد شيئاً عن ذهابه إلى النبي ﷺ ولا يشك أحد في أمره.

* وكان النبي ﷺ وأبو بكر قد استأجرا رجلاً كافرًا اسمه (عبد الله بن أريقط) ليدلّهما على الطريق فقد كان

(١) النطاق: هو حزام تربطه المرأة على وسطها.

ماهرًا بالطريق يحفظ طرق الصحراء وشعابها .
 وكانا قد دفعا إليه الراحلتين وواعدها أن يأتي إليهما
 بالراحلتين في غار ثور بعد ثلاثة أيام .
 * ولما وصل عبد الله بن أريقط انطلق معه النبي
 ﷺ وأبو بكر وعامر بن فهيرة . . . وبدأت الرحلة إلى
 المدينة المنورة .

محبة تفوق الخيال

* وكان أبو بكر يسير أمام النبي ﷺ مرة وخلفه مرة
 وعن يمينه مرة وعن يساره مرة فتعجب النبي ﷺ
 وقال: «مالك يا أبا بكر؟» .

فقال أبو بكر: يا رسول الله أذكر الطلب - أي
 الكفار الذين يطاردونك - فأمشى خلفك ثم أذكر
 الرصد - أي الجواسيس الذين يرصدونك ويُعدون
 لك الكمائن - فأمشى أمامك وعن يمينك وعن
 شمالك فأنا أخشى عليك منهم يا رسول الله .

فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر لو كان هناك أذى ينتظرني لأحببت أن يكون بك دوني؟».

فقال أبو بكر: أجل يا رسول الله... فلئن قُتلتُ أنا فإنا أنا رجلٌ واحد... ولئن قُتلت أنت ضاعت الأمة كلها.

* وبينما هم في الطريق إذ أحسَّ النبي ﷺ بشيء من التعب فنظر أبو بكر حتى رأى ظل شجرة ففرش للنبي ﷺ تحت ذلك الظل ثم قال للنبي ﷺ: اضطجع هنا يا رسول الله... فاضطجع النبي ﷺ.

ثم ذهب أبو بكر يبحث ويرى إذا كان هناك أحدٌ من المشركين يتبعهم فوجد راعي غنم فسأله: يا غلام هل عندك من لبن؟ قال: نعم. فأمره أبو بكر أن يحلب له بالأجر ثم أمره أن ينفض ضرعها من الغبار وأن ينفض كفيه من التراب ثم حلب اللبن وأخذهُ أبو بكر وانتظر حتى استيقظ النبي ﷺ فقال له: اشرب يا رسول... فشرِب... ثم قال له: اشرب.

يقول أبو بكر: فشرب النبي ﷺ حتى ارتويت . . . يا
له من حب لا يخطر على قلب بشر .

قصة سراقه بن مالك

كانت قريش قد أعلنت عن جائزة كبيرة مقدارها
مائة ناقة لمن يأتي برسول الله ﷺ وأبي بكر أو يدل
عليهما . . . وكانت هذه الجائزة كبيرة جداً ولذلك
طمع كثير من المشركين في أن يعرفوا مكان النبي
ﷺ حتى يفوزوا بهذه الجائزة .

وكان من بين هؤلاء الناس الذين كانوا يسعون للفوز
بهذه الجائزة رجل اسمه (سراقه بن مالك) الذي ما إن سمع
بتلك الجائزة حتى أخذ يبحث عن النبي ﷺ في كل
مكان حتى لحق برسول الله ﷺ وأبي بكر فلما اقترب
منهما غاصت أقدام فرسه في الأرض فنادى على رسول
الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبي ﷺ
الأمان . . . لكنه أراد أن يغدر بالنبي ﷺ فغاصت أقدام

فرسه مرة أخرى في الأرض فنادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبي ﷺ الأمان .
 فلما أراد الغدر للمرة الثالثة غاصت أقدام فرسه في الأرض فعلم أن هذا الرجل هو رسول الله ﷺ وأن الله (جل وعلا) هو الذي يحميه ويدافع عنه . فأقبل على النبي ﷺ وأسلم فبشّره النبي ﷺ بأنه سيُلبس (سوارى كسرى) .
 وقد حدث هذا بالفعل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قصة أم معبد الخزاعية

وفي الطريق عطش النبي ﷺ هو وأبو بكر فنزلا على امرأة تُسمى (أم معبد الخزاعية) وكانت تعيش في خيمة على الطريق من مكة إلى المدينة . . . فسألوها لحماً وتمرًا ليشتروا منها فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك .
 وكان أهل هذا المكان يعانون في هذا الوقت من

القحط والجذب... فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قد جفأ ضرعها وأوشكت على الموت فقال لها النبي ﷺ :
«ما هذه الشاة يا أم معبد؟»

قالت: إنها شاة ضعيفة.

فقال لها: «هل بها لبن؟»

فقالت: ليس بها لبن.

فقال لها: هل تأذنين لى أن أحلبها؟

فقالت له: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها لبناً فاحلبها.

فأخذ النبي ﷺ تلك الشاة فمسح بيده المباركة على ضرعها وسمى الله تعالى ودعا فامتلاً ضرعها باللبن فطلب النبي ﷺ إناءً فحلب فيه لبناً كثيراً وسقى أم معبد وسقى كل من معه ثم شرب هو آخرهم ﷺ...
ثم حلب النبي ﷺ تلك الشاة مرة أخرى وترك اللبن كله عند أم معبد التي كانت تنظر إلى ما يحدث وهي فى غاية الدهشة والتعجب... ثم بايعها النبي ﷺ على الإسلام وانصرف...

وبعد فترة يسيرة جاء زوجها أبو معبد فلما رأى اللبن قال: من أين هذا اللبن يا أم معبد وليس عندك شاة تُحلب؟

قالت: لقد مرَّ بنا رجلٌ مباركٌ وفعل كذا وكذا.

فطلب منها أن تصفه له . . . فوصفته له وصفاً دقيقاً .

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قریش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصاحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وصول النبي ﷺ

إلى المدينة المنورة

وفي المدينة كاد القلق يفتك بالمهاجرين من مكة، والأنصار من أهل المدينة، إنهم يخرجون كل يوم ينتظرون رسول الله ﷺ، وأبا بكر، ثم يعودون مرة أخرى.

ولا زالت الأوهام تطاردهم، وربما استطاع المشركون قتل رسول الله أو العثور عليه، وما زالت ألسنتهم

وقلوبهم تدعو لرسول الله بالنجاة، وأوشك بعضهم أن يموت من فرط الانتظار.

كل هذا ورسول الله في الطريق، وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه في تجارة له، فقابل رسول الله وأبا بكر فكساهما ثوبين أبيضين، وفي هذه اللحظات اقترب ركب رسول الله من الدخول إلى المدينة، فإذا بيهودي كان على نخلة له؛ يرى رسول الله، حتى عرفه بصفته وعلامته، فقال:

يا معشر العرب، هذا نبيكم الذي تنتظرون.

وارتفعت صيحات التكبير في كل مكان.

إن رسول الله في ثوبه الأبيض ونوره الذي غلب نور الشمس؛ فأضاءت أركان المدينة كلها، وخرج الجميع ليرى النور المبين، فإذا بالمؤمنين الذين رأوا رسول الله بقلوبهم من قبل يرونه الآن بعيونهم.

وارتفعت أصوات الجوارى بالغناء:

طلعت البدر علينا

من تبيات الوداع

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا

مَا دَعَا لَلَّهِ دَاعٍ (١)

* وأقبل بعض الأنصار الذين لم يروا رسول الله ﷺ على أبي بكر يحيونه ويحسبون أنه الرسول . فلما رأى أبو بكر ذلك خلع رداءه ووضع على رأس رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أشعة الشمس فعرف الناس في هذه اللحظة رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه يحيونه ويسعدون برؤيته .

وكان ذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول .

النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

وسار النبي ﷺ حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف فلما نزل أقام فيهم أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء وهو أول مسجد أسس بعد النبوة .

* ولما كان يوم الجمعة ركب النبي ﷺ ليدخل

(١) حياة محمد ﷺ / (ص: ١٥٢ - ١٥٣).

المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلى بهم
الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي .

فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ

لما وصل النبي ﷺ المدينة وكان يركب ناقته
(القصواء) .

فكان كلما مرَّ على بيت من بيوت الأنصار أمسكوا
بزمam ناقته وقالوا: هلمَّ يا رسول الله إلى العدد والعدة
والمنعة والقوة .

فيقول لهم: دعوها فإنها مأمورة . . . أي أنها تسير بأمر
الله ولن تقف إلا في المكان الذي أراده الله (جل وعلا) .
وفي هذه اللحظة صعد الرجال والنساء فوق البيوت
وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد يا
رسول الله . . يا محمد يا رسول الله .

وكان النبي ﷺ يبادلهم نفس المحبة .

حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بني النجار من حوله
وهن ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلاً: «أحبيبتني؟ والله إن قلبي
ليحبكن».

• وقام الأحباش يلعبون بالحراب فرحاً لقدم رسول
الله ﷺ.

نزول النبي ﷺ

في دار ابي أيوب الأنصاري

والأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن
كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه،
فكان لا يمر بدارٍ من دور الأنصار إلا أخذوا خطام
راحلته: هلُمَّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان
يقول لهم: «خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل سائرة به
حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم
ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت
فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في ديار بني

التجار أخواله ﷺ .

وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على
أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله
ﷺ في النزول عليهم، ويأدر أبو أيوب الأنصاري إلى
رَحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء
مع رَحله»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته،
وكانت عنده^(١).

وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ

ولترك المجال لأبي أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك
الفرحة الشديدة التي ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول
النبي ﷺ عليه في بيته.

يخبر أبو أيوب أن النبي ﷺ لما نزل عنده في بيته
نزل في الدور السفلى فطلب منه أبو أيوب أن يكون في
الدور العلوى فرفض النبي ﷺ وأخبره أن هذا أسر له

(١) السيرة لابن هشام (٢/٣٤٣).

من أجل أن يستقبل الناس ويدعوهم إلى الله دون أن يجرح بيت أبي أيوب . . فوافق أبو أيوب وهو حزين لذلك . . . فكان يأمر زوجته أن تنام بجوار الحائط حتى لا يكونا فوق النبي ﷺ .

وفى يوم من الأيام كُسر إناء فيه ماء لأبي أيوب فخشي أبو أيوب أن يسقط الماء على رسول الله ﷺ فأخذ قطعة كانت عند أم أيوب فشقها نصفين وأخذ هو وزوجته يمسحون الماء بالقطيفة .

ثم نزل أبو أيوب وقال لرسول الله ﷺ : لا ينبغي أن نكون فوقك أبداً يا رسول الله . . فوافق النبي ﷺ وصعد إلى الدور العلوى .

* وظل النبي ﷺ لمدة سبعة أشهر في ضيافة أبي أيوب حتى بنى حُجره ومسجده . . . وازدادت دار أبي أيوب بركة بنزول جبريل (عليه السلام) بالوحي على رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب .

* وكان أبو أيوب يرسل الطعام للنبي ﷺ فإذا أكل النبي

ﷺ أكل أبو أيوب وزوجته من إناء النبي ﷺ إلتماساً
لبركة النبي ﷺ .

بناء مسجد النبي ﷺ

ولعلكم تذكرون حين وقفت القصواء في ديار بني
النجار فعلم النبي ﷺ أن هذه الأرض مملوكة لغلامين
يتيمين من أيتام المدينة فاشتراها رسول الله ﷺ من مال
أبي بكر ثم ردَّ إليه هذا المال بعد ذلك .

وبدأ النبي ﷺ في بناء المسجد . . . وكان هناك
بعض مقابر المشركين فأزالوها ونظفوا ذلك المكان وبدأ
المسلمون في بناء المسجد مع رسول الله ﷺ وهم
يحملون الأحجار وينشدون ويقولون: اللهم إنه لا خير
إلا خيرُ الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة .

وأصبح للمسلمين مسجداً: مسجد قُباء الذي أسس
على التقوى من أول يوم . . . ومسجد الرسول ﷺ الذي
قال عنه الحبيب ﷺ :

«صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»^(١).

✦ فصار هذا المسجد هو مكان العبادة والملتقى اليومي للرسول ﷺ مع أصحابه ليعلمهم ويربيهم... فكان فيه تُقام الصلاة ومنه تخرج الجيوش وفيه يرفع بلاءُ الأذان.

حنين الجذع للنبي ﷺ

ولما بنى النبي ﷺ المسجد لم يكن له منبر يخطب عليه فكان النبي ﷺ يخطب على جذع نخلة... فجاءت امرأة من الأنصار وكان لها ولدٌ يعمل نجاراً فاستأذنت رسول الله ﷺ في أن يصنع ابنها منبراً ليخطب عليه النبي ﷺ فوافق النبي ﷺ.

وفي الجمعة التالية وضع الصحابة الجذع جانباً وجعلوا المنبر الجديد في القبلة فصعد النبي ﷺ ليخطب على

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٩٠) كتاب الجمعة، ومسلم (١٣٩٤) كتاب الحج.

المنبر فإذا بأصحاب الرسول ﷺ يسمعون صوت حين
الجدع وكأنه صوت ناقة في حال الولادة فنزل النبي ﷺ
واحتضن الجدع فسكت الجدع فقد كان حزيناً لفراق النبي
ﷺ .

ربح البيع أبا يحيى

ولما أراد صهيب الرومى أن يهاجر خلف النبي ﷺ
حاول المشركون أن يمنعوه وقالوا له: يا صهيب جئتنا
صعلوكاً فقيراً لا مال لك ثم بعد أن اغتنتيت تريد أن
تهاجر . . .

فقال لهم: أنتم تعلمون أنى من أمهر الرجال فى رضى
السهم فأنا أستطيع أن أفضى عليكم جميعاً ولكن ما
رأيكم فى أن أترك لكم مالى كله وتتركونى لألحق بالنبي
ﷺ . . . فوافقوا .

فقال لهم: مالى فى المكان الفلانى . . . فذهبوا ليأخذوه
وتركوه ليهاجر خلف النبي ﷺ .

فجاء جبريل إلى النبي ﷺ وأخبره بما فعله صهيب الرومى فلما وصل صهيب إلى المدينة قابله النبي ﷺ وهو يتسم ويقول: ربح البيع أبا يحيى . . . ربح البيع أبا يحيى . . . ونزل قول الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (١).

كيف أسس النبي ﷺ للإسلام دولة

عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة كان يريد أن يقيم للإسلام دولة يستطيع من خلالها أن يبلغ دعوته إلى الكون كله.

ومن هنا قام النبي ﷺ بوضع تلك الدعائم لإقامة دولة الإسلام:

(١) صلة الأمة بربها:

وذلك من خلال بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي حاربها المشركون كثيراً . . . ولتقام فيه الصلوات التي

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٠٧) - ومعنى يشري: أى يبيع.

تربط المرء بربه (جل وعلا).

(٢) صلة الأمة بعضها ببعض الآخر:

وذلك من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فلقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسى الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه.

وها هو سعد بن الربيع الذى تعايش مع كل آية من آيات القرآن ومع كل حديث من أحاديث النبي ﷺ . . . يحقق معنى الأخوة كما أرادها الحق - جل جلاله - .

فعن انس رضي الله عنه أنه قال: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك شطرين - نصفين - ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها.

فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك . فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئاً من سمن وأقط (١) فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضر من صفرة فقال له رسول الله ﷺ : «مهيم؟» قال : تزوجت امرأة من الأنصار، قال : «ما سقت فيها؟» قال : وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال : «أولم ولو بشاة» (٢) .

(٢) صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لا يدينون دينها؛

• أما الأمر الثالث، وهو صلة الأمة بالأجانب عنها، الذين لا يدينون بدينها، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سنَّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم ملئ بالتعصب والتغالي، والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر. وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطئ. عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة،

(١) الأقط: قطع الجبن.

(٢) متفق عليه: رواد البخارى (٣٧٨١) كتاب المناقب، ومسلم (١٤٢٧) كتاب النكاح.

وجد بها يهوداً توطنوا ومشركين مستقرين . فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل - عن طيب خاطر - وجود اليهودية والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهدهم معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه . واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو . وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يتغنى تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها^(١) .

• قال الإمام ابن القيم رحمه الله

وواعد رسول الله من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتاباً، ويأدر خبرهم^(٢) وعالمهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام وأبى عامتهم إلا الكفر .

وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة فمن على بنى قينقاع، وأجلى بنى

(١) بتصرف من فقه السيرة للشيخ الغزالي .

(٢) الخبر : هو عالم من علماء اليهود .

النضير، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير، وسورة الأحزاب فى بنى قريظة (١).
 * وكان هناك فريق آخر غير المسلمين واليهود.. هم المنافقون الذين يُظهرون الإيمان أمام النبي ﷺ وأصحابه ولكنهم يُخفون الكفر فى قلوبهم.. وكان زعيم المنافقين هو عبد الله بن أبى بن سلول وكان المسلمون يسمونه برأس المنافقين.

* وكان سبب عدااء هذا الرجل للنبي ﷺ أنه كان الناس فى المدينة قد اتفقوا على تتويجه زعيماً عليهم فلما جاء النبي ﷺ انصرف الناس عن عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله ﷺ فحقق هذا الرجل على النبي ﷺ حقداً شديداً وتآمر عليه كثيراً.



(١) زاد المعاد (٣/٦٥).

الإذن بالقتال

لما استقر النبي ﷺ بالمدينة وأيده الله بنصره وبعياده المؤمنين الأنصار . . وألّف بين قلوبهم بعد العداوة التي كانت بينهم .

وهنا قامت اليهود والعرب وأظهروا العداوة للنبي ﷺ وأصحابه وكان الله (عز وجل) يأمر النبي ﷺ وأصحابه بالصبر والعفو والصفح من خلال الوحي وآيات القرآن . . .

فلما قويت شوكة أصحاب النبي ﷺ أذن الله لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم فقال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (١).

فبدأت الحرب الدفاعية ضد كل عدو يريد الهجوم على المدينة، كما كانت هناك بعض القوافل التجارية لقريش تمر على المدينة في طريق ذهابها وعودتها إلى

(١) سورة الحج: الآية: (٣٩).

الشام ومنه .

السرايا

والمعركة التي كانت يشترك فيها رسول الله سُميت
بـ«الغزوة» أما التي جرت في حياته ولم يشترك فيها،
وأرسل أحد قواده فكانت تسمى «السرية» .

وبعث رسول الله السرايا لمهاجمة قوافل قريش ففي
العام الأول الهجري خرج حمزة بن عبد المطلب لمهاجمة
أبي جهل في قافلة لقريش ولكن رجلاً من المشركين
واسمه مجدي بن عمرو حَجَزَ بينهما فلم يجر قتال
بينهما .

ثم توالى السرايا، ومنها سرية عبدة بن الحارث بن
عبد المطلب، وسرية عبد الله بن جحش وغيرهما من
السرايا .

وانتهى العام الأول للهجرة ببعض الأحداث السعيدة،
فقد وضعت أسماء بنت أبي بكر أول مولود في المدينة بعد
الهجرة وهو عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وشرع الأذان بعد أن احتار المسلمون كيف يدعون

وينادون للصلاة، فأرشدهم الله تعالى إلى الأذان.
 وكذلك هاجرت بناتُ النبي ﷺ إلى المدينة.
 وفي بداية العام الثاني للهجرة فرض الله تعالى
 الزكاة، والصيام على المسلمين، وكذلك تغيّرت القبلة
 وتحولت إلى الكعبة بعد أن كانت تجاه بيت المقدس.
 وحاول اليهود أن يوقعوا الفتنة بين المسلمين، ولكن
 الله ثبت أهل الإيمان على الحق فآطاعوا ربهم عز وجل،
 وحولوا وجههم ناحية الكعبة^(١).



(١) حياة محمد ﷺ (ص: ١٧٠-١٧٢).

غزوة بدر الكبرى

من الناس من يظن أن غزوة بدر هي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ وهذا خطأ... فلقد كانت أولى غزوات الرسول ﷺ هي غزوة «ودان» أو «الأبواء» وكانت في شهر صفر.

* ثم غزوة بواط:

قاد الرسول ﷺ غزوة شارك فيها مائتين من الصحابة، استهدفت اعتراض قافلة تجارية لقريش برأسها أمية بن خلف ويرعاها مائة رجل من قريش، وفيها ألفان وخمسمائة بعير محملة بأنواع البضائع - وقد وصل النبي ﷺ بقواته إلى بواط، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلقَ حرباً، وكان قد استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون^(١).

(١) السيرة لابن هشام (١/٥٩٨).

*** ثم غزوة بدر الأولى (الصغرى):**

وكان سببها أن رجلاً من الأعراب اسمه «كُرز بن جابر الفهري» أغار على المدينة وسرق بعض الإبل والمواشى .
فخرج رسول الله ﷺ يطارده مع عدد من الصحابة إلى أن وصلوا وادى سفوان من نواحي بدر، وتمكن كرز الفهري من الإفلات من حملة المطاردة .
* ولكن المفاجأة الجميلة أن هذا الرجل أسلم بعد ذلك وأصبح من خيرة جنود المسلمين .

*** غزوة العشيرة:**

وغزا رسول الله ﷺ قريشاً لاعتراض قوافلها التجارية، وكان معه مائة وخمسون من أصحابه، فبلغ العشيرة بناحية يَنْبُع، وفاتته العير، ووادع في هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلقَ حرباً (١) .

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩٤٩) كتاب المغازى.

ومن هنا كانت البداية لغزوة بدر الكبرى

قد أسلفنا في ذكر غزوة العشيرة أن عيراً لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها من مكة إلى الشام، ولما قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ طلحة ابن عبيد الله، وسعيد بن زيد إلى الشمال، ليقوما باكتشاف خبرها فوصلا إلى الروحاء، ومكثا حتى مر بهما أبو سفيان بالعيير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله ﷺ بالخبر.

كانت العير مُركبة من ثروات طائلة من أهل مكة، ألف بعير موقرة بالأموال، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلاً. إنها فرصة ذهبية لعسكر المدينة، وضربة عسكرية واقتصادية قاصمة ضد المشركين لو أنهم فقدوا هذه الثروة الطائلة، لذلك أعلن رسول الله ﷺ في المسلمين قائلاً:

«هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن يجعلها لكم غنيمة».

✦ فخرج مع النبي ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسود وكان معهم سبعون بعيراً يتناوبون على ركوبها.

✦ وكان أبو سفيان قد علم بأن النبي ﷺ قد جهز جيشاً لمهاجمة قافلته... وكان من أذكىء العرب... ولذلك قرر أن يُغيّر الطريق الذي سيسلكه حتى ينجو من هجوم المسلمين عليه.

وفي نفس الوقت أرسل رجلاً اسمه «ضمضم بن عمرو الغفاري» إلى مكة ليخبرهم بأن النبي ﷺ وأصحابه يريدون مهاجمته والحصول على القافلة فلما علم أهل مكة بذلك نهضوا مسرعين من أجل إنقاذ أموالهم وتجارتهم ولم يبق في مكة إلا أبو لهب - عم رسول الله ﷺ - الذي أرسل رجلاً آخر بدلاً منه لأنه

كان له عليه دين . . . وبينما بلغ عدد المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً . . . كان عدد المشركين ألف رجل ومعهم مائتا فرس يقودونها .

* وواصل النبي ﷺ مسيره حتى وصل إلى بئر بدر . . . وهناك وصله الخبر بأن أبا سفيان قد نجى بالقافلة . . . وكاد الأمر أن ينتهى عند ذلك لكن أبا سفيان لما كتب إلى قريش أن ارجعوا وأخبرهم بنجاة العير التي خرجوا من أجلها فكادوا أن يرجعوا لولا أن أبا جهل قال: والله لا نرجع حتى نأتى بدرأً ونقسم فيها وننحر الإبل ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا العبيد والجوارى وتسمع بنا العرب فلا يزالون يخافوننا بعد ذلك .

فوافق المشركون على رأى أبى جهل إلا قبيلة بنى زُهرة الذين كانوا أحوال رسول الله ﷺ فقد رجعوا ولم يحاربوه .

ونزل جيش المشركين قُربِ بئر بدر في مكان هو «العدوة القصوى»، أي: المكان الأعلى، وتأكدت الأخبار لدى رسول الله من أن المشركين قد استعدوا للحرب؛ فلم يعد إلى المدينة.

وبدأ النبي ﷺ في تجهيز الجيش وفي نفس الوقت أرسل استخباراته من جديد ليُعرف أخبار العدو ويعرف عددهم وعُدتهم.

فلما وصلوا إلى بئر بدر وجدوا مولى لعقبة بن أبي معيط فسألوه: كم القوم؟

فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم... حتى جاء النبي ﷺ وسأله: «كم ينحرون من الإبل كل يوم؟»

قال: ينحرون عشراً كل يوم.

فقال ﷺ: «القوم ألف».

وتمثل الشيطان على هيئة سُرَاقَة بن مالك فقال للمُشركين: إني جَارٌ لَكُمْ فحاربوا؛ فاغتروا به، ولكنه حينما بدأت المعركة ولَّى الشيطان هَارِبًا لما رأى الملائكة

تَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ .

• ولما عرف النبي ﷺ أن عدد المشركين ثلاثة أضعاف عدد المسلمين أراد أن يختبر مدى استعداد أصحابه لخوض هذه المعركة فقال: أشيروا عليَّ أيها الناس... فتقدم أبو بكر وعمر والمقداد فتكلموا وأحسنوا... لكن المشكلة أن هؤلاء الثلاثة من المهاجرين... والنبي ﷺ يريد أن يعرف رأى الأنصار لأن عددهم كان أكثر من عدد المهاجرين ولأن بنود بيعة العقبة الثانية تُلزمهم بالدفاع عن النبي ﷺ داخل المدينة ولا تُلزمهم بذلك خارج المدينة... وكانت غزوة بدر خارج المدينة... فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس».

قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟

قال: «أجل».

قال: فقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به

هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على

السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن

معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما
نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ
عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا
على بركة الله، فسَّرَ رسول الله ﷺ بقول سعد ونسطه
ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني
إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»^(١١).

ثم قال لصحابته: «هنا مقتل أبي جهل، وهنا مقتل عتبة بن
أبي معيط، وهنا مقتل عتبة وشيبة ابني ربيعة»، ففرح المسلمون
لأنهم يعلمون صدق نبيهم.

جعل النبي ﷺ على مئمنة الجيش الزبير بن العوام،
وعلى الميسرة المقداد بن الأسود، وأعطى لواءه إلى مصعب بن
عمير، وكانت راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
أما راية الأنصار فكانت مع سعد بن معاذ رضي الله عنه، كما
كان قيس بن أبي صعصعة هو قائد مؤخره الجيش.

(١١) صحيح: انظر تخريج فقه السيرة للعلامة الألباني رحمه الله (ص ٢٢٣).

وخرج الحُباب بن المنذر فقال: يا رسول الله هل هذا المنزل ^(١) أنزلكه الله - يعنى: عن طريق الوحي - أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟

فقال رسول الله: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة».

فقال: فليس هذا بالمنزل الجيد، ولكن نزل قريباً من الماء، فبنى عليه حوضاً؛ فيكون معنا الماء؛ فلا يشرب منه أحد من المشركين.

وكانت فكرة جيدة وحيلة مآكرة، نفذها رسول الله ﷺ فى التو واللحظة.

ثم قام سعد بن معاذ فبنى عريشاً ^(٢)، يحتمى فيه رسول الله من المشركين وقال:

- يا رسول الله إن أعزنا الله كان هذا ما أردنا، وإن كان غير ذلك لم يصلوا إليك فى عريشك هذا ولقد تركنا إخواننا هناك يحبونك كما نُحبك، فإذا هزمتنا عدت أنت إليهم.

(١) المكان الذى نزلنا فيه.

(٢) مكان كأنه المظلة من الشمس.

وأقبلت قُريش قُريباً من جيش المسلمين فلما رأهم
النبي ﷺ قال داعياً ربه:

اللهم هذه قُريش أقبلت بخيلها وخيلائها (١) تكذبك
وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم
أحنتهم الغداة (٢)، اللهم إن تهلك هذه العصابة - وهم
المسلمون - فإنك لن تُعبد بعد اليوم في الأرض أبداً.

واشتد رسول الله في دُعائه حتى أشفق عليه أبو بكر
وقال: يا رسول الله أليس الله قد وعدك النصر؟! (٣).

* وأنزل الله في تلك الليلة مطراً.. فكان على
المشركين وبالاً شديداً منعهم من التقدم وكان على
المسلمين بركة فقد أذهب عنهم رجس الشيطان وثبت
الأرض من تحت أقدامهم وربط على قلوبهم وأذهب عنهم
النوم والتعب... وسبق رسول الله ﷺ إلى الماء
فصنعوا الحياض ليتتفعوا بذلك الماء.

(١) كبرياتها.

(٢) أهلكتهم.

(٣) حياة محمد ﷺ (ص: ١٨٦ - ١٨٨).

* وكان هناك مشهد مؤثر جداً قبل القتال وهو أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزيرة الأنصاري فقال: «يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني^(١)»، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقد» قال: فاعتنقه فقبّل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيراً».



(١) أقدني: خذ لي الحق من نفسك..

أول وقود المعركة

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سييء الخلق - خرج قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمته أو لأموتن دونه، فلما خرج إليه حمزة بن عبد المطلب عليه السلام والتقى ضربه حمزة، فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبرّ يمينه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربه أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض^(١).

« وبدأت بعد ذلك أحداث المعركة: »

ولقد كانت الحروب قديماً تبدأ بالمبارزة بالسيف.
فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة

وقالوا: هل من مبارز؟

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٢٦).

فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف،
ومُعَوِذ، أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال:
هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديبهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا ^(١) من
قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبدة بن الحارث، قم يا
حمزة، قم يا علي»، فلما قاموا ودنوا منهم.

فبارز عبدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز
حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز (علي) الوليد بن شيبه.

فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما (علي) فلم
يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبدة وعتبة بينهما
ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعليّ
بأسيا فهما علي عتبة.

(١) أكفاءنا: نظرامنا أو من يساونا في المكان.

فقتلاه، وحملاً عبيدة بن الحارث فإذا به يموت شهيداً
بعد ذلك من آثار هذه الضربة^(١).

الله (عز وجل) يؤيدهم بملائكته

ثم حمى الوطيس، واستدارت رحي الحرب، واشتد
القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهاال،
ومناشدة ربه عز وجل.

* **عن عمر بن الخطاب قال:** لما كان يوم بدر، نظر
رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه
ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل نبي الله القبلة. ثم
مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز ما وعدتني. اللهم آت
ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا
تُعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه. ماداً يديه، مستقبلاً
القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأناه أبو بكر. فأخذ
رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه. وقال: يا
(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٦٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني
رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

نبي الله! كفاك مناشدتك ربك. فإنه سينجز لك ما وعدك
فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي
مُمِدُّكُمْ بِالْفِئْتَانِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْسَلِينَ﴾ (١) فأمده الله بالملائكة (٢).
* وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة ثم رفع
رأسه فقال:

«أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه
يقوده، على ثناياه النقع».

* وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قال لي النبي
ﷺ ولأبي بكر يوم بدر «مع أحدكما جبريل، ومع الآخر
ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكون في
الصف».

* * *

(١) سورة الأنفال: الآية: (٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

مصرع أبى جهل

وحاول «أبو جهل» أن يوقف سيل الهزيمة النازل بقومه، فأقبل يصرخ بهم، وغشاوة الغرور لا تزال ضاربة على عينه: «واللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم فى الجبال.. خذوهم أخذًا».

فى غزوة بدر والمعركة مشتعلة بين المسلمين وكفار قريش، كان الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف واقفًا بين الصفوف، مُمسكًا بسيفه، وبينما هو يستعد للقتال جاءه غلامان صغيران، يحمل كل واحدٍ منهما سيفًا.

قال أحدهما: يا عم أتعرف أبى جهل؟

قال عبد الرحمن: نعم، وماذا تريد منه؟

قال أحد الغلامين: علمت أنه يسب رسول الله

ﷺ... والله لو رأيتَه لأضربنه بسيفى هذا.

وقال الغلام الآخر مثل كلام صاحبه.

تعجب عبد الرحمن بن عوف من شجاعة الغلامين،

وحين لمح أبا جهل يتجول بين الصفوف كالشور الهائج .
قال للغلامين: هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه .
 تقدم الغلامان الصغيران من أبي جهل، ثم انقضاً عليه
 بسيفيهما فضرباه ضربة شديدة فسقط قتيلاً، ثم انصرفا إلى
 النبي ﷺ فأخبراه بما فعلا .

فقال لهما النبي ﷺ: «أيكما قتله؟» .

قال كل منهما: أنا قتلته .

قال النبي ﷺ: «هل مسحتما سيفيكما؟» .

قال الغلامان: لا .

فنظر النبي ﷺ في السيفين، وقال: «كلاكما قتله» .

أئمة الكفر يقذفون في القليب

وانتهت غزوة بدر بهزيمة المشركين ومقتل سبعين رجلاً
 منهم واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً... وأسر
 المسلمون سبعين من المشركين .

فأمر النبي ﷺ بصناديد قريش وأئمة الكفر منهم أن

يُقَذَّفُوا فِي بئرِ خَرَبَةِ مِنْ آبارِ بَدْرٍ ثُمَّ وَقَفَ ينادي عليهم:
 «يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا
 شيبة بن ربيعة! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد
 وجدت ما وعدني ربي حقًا».

فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف
 يسمعون وأنى يجيبوا وقد قُتلوا؟

قال: «والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم،
 ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا» ثم أمر بهم فسُحبوا فألقوا في
 قليب بدر (١).

قتل النضر بن الحارث

وبعد أن أقام النبي ﷺ ببدر ثلاثة أيام تحرك بجيشه
 ومعه الأسرى من المشركين والغنائم التي غنمها المسلمون
 منهم... وفي الطريق قسم النبي ﷺ الغنائم بين
 المسلمين بعد أن أخذ خمس الغنائم.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وعندما وصل إلى الصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث - وكان هو حامل لواء المشركين يوم بدر، وكان من أكابر مجرمى قريش، ومن أشد الناس كيداً للإسلام، وإيذاءً لرسول الله ﷺ فضرب عنقه على بن أبي طالب.

قتل عقبة بن أبي معيط (في طريق العودة إلى المدينة)

هذا الشقى الذى أذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ فقطعت عنقه جزاءً وفاقاً.

لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد من بين قريش؟

قال: «نعم، أندرون ما صنع هذا بى، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينى ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فآلقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى».

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأطيح بعنقه جزاء
كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ .

بشائر النصر تصل إلى المدينة المنورة

ولما تم الفتح للمسلمين أرسل رسول الله ﷺ
بشيرين إلى أهل المدينة، ليحملا لهم البشرى .
أرسل عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية،
وأرسل زيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة .
وكان اليهود والمنافقون قد أرجفوا فى المدينة بإشاعة
الدعايات الكاذبة، حتى أنهم أشاعوا خبر مقتل النبى
ﷺ .

فلما بلغ الرسولان أحاط بهما المسلمون، وأخذوا
يسمعون منهما الخبر حتى تأكد لديهم فتح المسلمين، فعمت
البهجة والسرور، واهتمزت أرجاء المدينة تهليلاً وتكبيراً،
وتقدم رؤوس المسلمين - الذين كانوا بالمدينة - إلى طريق
بدر، ليهنتوا رسول الله ﷺ بهذا الفتح المبين .

وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو في غاية السعادة والسرور لهذا النصر الذي أكرمه الله به . . . وكان النبي ﷺ قد خلف عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة جداً . . فلما عاد النبي ﷺ من غزوة بدر علم أن رقية قد ماتت ودُفنت فاحتسبها عند الله ورضى بقضاء الله (جل وعلا) وشارك المسلمين فرحتهم بالنصر حتى لا تنقلب سعادتهم حزنًا . . . فيا له من نبي كريم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﷺ .

فداء الأسرى

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فادى رسول الله ﷺ

أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف» .

* * *

رحمة للعالمين

* وها هو نهر الرحمة وينبوع الحنان محمد بن عبد الله ﷺ يعلم أن أناساً من المشركين لا يملكون ثمن الفداء وإذا به يجعل فداءهم أن يُعلموا أولاد الأنصار الكتابة ليسهل لهم طريقاً إلى الحرية وليعلموا قدر هذا الدين العظيم وقدر سيد المرسلين ﷺ .

فضل من شهد بدرًا من المسلمين

* عن معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم».

قال: «من أفضل المسلمين».

قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» (١).

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٩٩٢) كتاب المغازي.

وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

« وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لن يدخل النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية»^(٢).

في أعقاب بدر

لما علم العرب بانتصار المسلمين على المشركين تأكدوا أن المسلمين أصبحوا قوة لا يُستهان بها.

« وأما أهل مكة من المشركين فقد انطوا على أنفسهم يداوون جراحهم ويستعيدون قواهم ويستعدون للثأر من المسلمين فلقد ازدادت كراهيتهم للإسلام والمسلمين بعد هزيمة بدر.

« وأما في المدينة المنورة فقد كانت هناك مؤامرات تُدبر سرًا للنيل من المسلمين... فلقد أسلم بعض المشركين

(١) صحيح: رواه أحمد (٧٨٨٠) باقئ مسند الكثيرين وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

واليهود ظاهراً وقلوبهم قد امتلأت حقداً وكفراً... وعلى رأس هؤلاء رأس المنافقين عبد الله ابن أبي ابن سلول. * ولقد مضت حياة المسلمين بعد غزوة بدر في جهاد طويل فلم يستريحوا منذ هذه اللحظة فقد بدأت الملاحم والغزوات بينهم وبين المشركين.

إجلاء يهود بنى قينقاع

وفي ظل فرحة المسلمين بانتصارهم في بدر لم يستح أولئك اليهود أن يقولوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا يفرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس!». * وكان سبب إجلاء يهود بنى قينقاع أن امرأة مسلمة ذهبت إلى سوق بنى قينقاع لتبيع ذهبها فلما أعطت الذهب للتاجر اليهودي وجلست جانباً جاءها يهودي خبيث وطلب منها أن تكشف وجهها فرفضت... فأخذ طرفاً من ثوبها وعقده إلى أعلى الثوب دون أن تدرى فلما

قامت انكشف جزء من جسدها فصرخت ووقف اليهود
يضحكون فقام رجل من المسلمين على هذا اليهودى
فقتله . . فقام اليهود على هذا الرجل المسلم فقتلوه . . فلما
علم النبي ﷺ بذلك أخرج يهود بنى قينقاع من المدينة
وأجلاهم عنها .

غزوة أحد

كانت مكة تحترق غيظًا على المسلمين مما أصابها في
معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف،
وكانت نجيش فيها نزعات الانتقام وأخذ الثأر، حتى إن
قريشًا كانوا قد منعوا البكاء على قتلاهم في بدر، ومنعوا
من الاستعجال في فداء الأسارى؛ حتى لا يتفطن
المسلمون مدى مأساتهم وحزنهم .

وعلى إثر غزوة بدر انفقت قريش على أن تقوم بحرب
شاملة ضد المسلمين، تشفى غيظها، وتروى حقدتها،

وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة .
 وكان عكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية، وأبو
 سفيان بن حرب وعبد الله بن أبى ربيعة أكثر زعماء قريش
 نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة .

وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التى
 كان قد لحا بها أبو سفيان والتي كانت سبباً لمعركة بدر،
 وقالوا للذين كانت فيها أموالهم: يا معشر قريش، إن
 محمداً قد قتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه،
 لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت
 ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار^(١) .

* وبدأت قريش فى تجميع القبائل ضد المسلمين مثل:
 كنانة وأهل تهامة والأحباش حتى بلغ عدد الجيش ثلاثة
 آلاف رجل وثلاثة آلاف جمل ومائتا فرس وسبعمائة
 درع... وبعد قتل سادة قريش فى بدر جعلوا قيادة
 الجيش فى أحد لأبى سفيان بن حرب .

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٦٢) .

النبي ﷺ يستشير أصحابه

ووصلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ في المدينة عن طريق العباس بن عبد المطلب الذي كان عيناً لرسول الله ﷺ في مكة .

وهنا عقد رسول الله ﷺ مجلس شورى حتى يقرر ما سيفعله أمام هؤلاء المشركين .

❖ واستشار الرسول ﷺ أصحابه في أن يخرج إلى المشركين أم يمكث في المدينة .

وكان رأى النبي ﷺ أن يمكثوا في المدينة ويتحصنوا بها فإذا دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الطرق . . . وتقاتل النساء من فوق البيوت . . . ووافق على هذا الرأي رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول .

ولكن كان هناك جماعة من فضلاء الصحابة الذين لم يقاتلوا في يوم بدر يرون أن الأفضل أن يخرجوا إلى المشركين . . . فلما رأى النبي ﷺ إصرارهم وافقهم

على ذلك وقام ولبس الدرع . . فندم بعض الصحابة وقالوا: لقد رددنا على رسول الله ﷺ رأيه . . فذهبوا إلى الرسول ﷺ وقالوا له: يا رسول الله لو شئت لبقينا معك في المدينة . . فقال النبي ﷺ: «ما كان لنبى أن يخلع لأمته (درعه) بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

جحافل الشرك تتحرك

واستكملت جحافل الشرك عدتها وخرجوا في ثلاثة آلاف مقاتل ومعهم ثلاثة آلاف بعير ومائتا فرس وكانت القيادة العامة لأبى سفيان بن حرب وجعلوا على عيمنتهم خالد بن الوليد وعلى اليسرة عكرمة بن أبى جهل وأما اللواء فكان إلى بنى عبد الدار وتحرك الجيش المكي نحو المدينة .



العباس يخبر النبي ﷺ بتحركات المشركين

وكان العباس (عم النبي ﷺ) يرقب تحركات قريش فلما علم بتحركهم نحو المدينة أرسل رسالة عاجلة ليخبر النبي ﷺ بذلك فأعطاها لرجل وأمره أن يسرع السير إلى النبي ﷺ فقطع هذا الرجل تلك المسافة التي تبلغ خمسمائة كيلو متر في ثلاثة أيام فوجد النبي ﷺ في مسجد قباء فأعطاه الرسالة فقرأها له أبي بن كعب رضِيَ اللهُ عنه وعاد الرجل إلى العباس رضِيَ اللهُ عنه مرة أخرى.

الحالة في المدينة

وأصبح النبي ﷺ وأصحابه في حالة استعداد تام حتى إن الرجل منهم كان لا يفارق سلاحه أبداً...
وقام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضِيَ اللهُ عنهم بحراسة النبي ﷺ فكانوا يبيتون على بابه وعليهم

سلاهم بينما كانت الحراسة على أبواب المدينة فى حالة
تأهب كامل حتى لا يفاجأهم العدو فى أى لحظة .

وخرج النبى ﷺ لملاقاة قريش

وخرج رسول الله ﷺ فى ألف من الصحابة
واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقى فى المدينة .

• وقسم النبى ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب:

- ١- كتيبة المهاجرين ، وأعطى لواءها مصعب بن عمير .
- ٢- كتيبة الأوس من الأنصار ، وأعطى لواءها أسيد بن
حضير .
- ٣- كتيبة الخزرج من الأنصار ، وأعطى لواءها الحباب
ابن المنذر .



انخزال المنافقين ورجوعهم

وقبل أن يصل النبي ﷺ وأصحابه إلى أحد عاد رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الجيش من المنافقين بدعوى أن النبي ﷺ أطاع الولدان وخرج من المدينة مع أنه كان يرى عدم الخروج من المدينة... .
وبذلك أصبح عدد المسلمين سبعمائة رجل فقط سيقاتلون ثلاثة آلاف مشرك.

الجيش الإسلامى يواصل سيره إلى العدو

وبعد انسحاب رأس المنافقين بثلاث الجيش واصل النبي ﷺ سيره إلى العدو بباقي الجيش وهم سبعمائة مقاتل، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد فى مناطق كثيرة، فقال: «من رجل يخرج بنا على القوم من كئب (أى: من طريق) لا يمر بنا عليهم؟».

فخرج به بعضُ الأنصار حتى سلَّك في بستان لبعض المنافقين ، وكان أعمى ، فقام يحثُّ الترابَ في وجوه المسلمين ويقول : لا أحِلُّ لك أن تدخلَ في بستانى إن كنتَ رسولَ الله ، فاستدره القومُ ليقتلوه ، فقال : « لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر » .

خطة رائعة للنبي ﷺ

لقد وضع النبي ﷺ خطة حكيمة قبل أن تبدأ غزوة أحد فلقد جعل جبل أحد وراء ظهره وجعل عليه خمسين من أمهر الرماة بالسهام وجعل القيادة عليهم لعبد الله بن جُبَيْر وقال لهم : « لو رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا أماكنكم حتى أرسل إليكم »^(١) .

* وبذلك حمى النبي ﷺ ظهر الجيش من أن ينقضَّ عليه المشركون من الخلف وجعل المدينة في وجهه حتى إذا انهزم الأعداء وأرادوا الفرار كان فرارهم إلى المدينة وهناك يقضى عليهم المسلمون .

(١) صحيح : رواه البخارى (٣٠٣٩) كتاب الجهاد والسير .

من يأخذ هذا السيف بحقه

ثم اقتربت الفُستان وأذن النبي ﷺ لرجاله أن يقاتلوا العدو، وبدأت مراحل القتال الأولى تثير الغرابة.

* وأخذ النبي ﷺ ينفث روح البسالة في الجيش الإسلامي.

* **عن أنس بن مالك قال:** إن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد، فقال: «من يأخذ مني هذا السيف بحقه؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان فيهم يقول: أنا أنا، فقال: «من يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم فقال له سماك أبو دُجانة: أنا آخذه بحقه، قال فأخذه ففلق به هام المشركين» (١).

* **وكان شعار المسلمين في هذه المعركة:** أَمِتْ أَمِتْ.

* وكان النصر في بداية المعركة حليف المسلمين.. وبدأ المشركون في الإنسحاب.. وكانت صدمة كبيرة للمشركين.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧٠) كتاب فضائل الصحابة.

ولكن فجأة تغيرت الأمور وحدث ما لم يكن في
الحسبان . . . فيا ترى ما الذي حدث؟
تعالوا بنا لتعرف سوياً ما الذي حدث.

غلطة الرماة التي غيرت سير المعركة

لقد علمنا كيف شدد النبي ﷺ على الرماة وقال
لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا أماكنكم حتى
أرسل إليكم».

لكن لما رأى الرماة أن المسلمين قد انتصروا على
المشركين وأن المشركين قد فروا من ميدان الجهاد وتركوا
الغنائم الكثيرة جعل الرماة ينزلون من على الجبل وهم
يصرخون: الغنيمة . . . الغنيمة . وعبد الله بن جبير يقول
لهم: يا قوم . . . أنسيتم ما قاله لكم رسول الله ﷺ .
لكنهم نزلوا وتركوا الجبل ظناً منهم أن الغزوة قد انتهت .
فلما نزلوا وتركوا الجبل رأهم خالد بن الوليد - وكان
مشاركاً لم يُسلم بعد - عاد سريعاً هو والمشركون من

خلف الجبل وانقضوا على المسلمين فقتلوا منهم سبعين من خيرة الصحابة . . بل وأرادوا بعد ذلك أن يقتلوا النبي ﷺ . . . حتى أشيع بين الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتل .

دفاع عن الرسول ﷺ

وفي هذه الغزوة جرح الرسول ﷺ في وجهه وكُسرت أسنانه فكأنت ابنته فاطمة تغسل الدم عن وجه النبي ﷺ .

* وهنا أخذ النبي ﷺ ينادى على أصحابه حتى اجتمع حوله سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين وهما: سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله .

وهنا اقترب المشركون يريدون قتل النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأصحابه: «من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة». فتقدم السبعة من الأنصار يدافعون عن رسول الله ﷺ حتى قُتلوا جميعاً . . فقام النبي ﷺ وأعطى

السهم التي معه لسعد بن أبي وقاص وقال له: «ارم سعد فذاك أبي وأمي».

ثم اقترب المشركون فقال النبي ﷺ: «من للقوم؟».

فقال طلحة: أنا يا رسول الله... وأخذ طلحة يقاتل وحده دفاعاً عن رسول الله ﷺ حتى جرح تسعاً وثلاثين جرحاً وشلت أصابعه حتى قال عنه رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»^(١).

• وكان أبو طلحة الأنصاري يرمى المشركين بالسهم ويقول للنبي: «لا تنظر حتى لا يصيبك سهم يا رسول الله... نحري دون نحرك»^(٢).

• بل وكانت أم عمارة قد خرجت هي وزوجها وأولادها يجاهدون في سبيل الله... ولما أراد المشركون قتل النبي ﷺ وقفت تقاتل وتدافع عن النبي ﷺ.

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٣٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٢) صحيح: انظر تخريج فقه السنة للعلامة الألباني رحمه الله (ص ٢٦٠).

حتى أصابها اثنا عشر جرحًا.

* واستشهد في هذه الغزوة سبعون من خيرة أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله ﷺ واستشهد أنس بن النضر وعبد الله بن حرام والد جابر وحنظلة الذي غسلته الملائكة بعد موته وعبد الله بن جحش وعمرو بن الجموح وسعد ابن الربيع ومصعب بن عمير وغيرهم ﷺ.

* وأخذ أبو سفيان بن حرب يتناخر على المسلمين بانتصارهم عليهم ويقول: يوم بيوم بدر والحرب سجال.

* فقال له عمر: لا سواء... قتلانا في الجنة وقتلاكهم في النار.

* * *

النبي ﷺ يتثبت من عودة المشركين إلى مكة

ولما انتهت الغزوة خشى النبي ﷺ أن يتوجه المشركون إلى المدينة ليقتلوا النساء والأطفال فقال لعلي بن أبي طالب: اخرج وراء القوم وانظر ماذا يصنعون... فإذا تركوا الخيل وركبوا الإبل فاعلم أنهم عائدون إلى مكة.. وإذا هم ركبوا الخيل وساقوا الإبل فاعلم أنهم يريدون المدينة.

* فذهب عليٌّ خلفهم فرآهم قد ركبوا الإبل وساقوا الخيل فعلم أنهم عائدون إلى مكة.

* * *

من نوادر الحب والتضحية

وعاد المسلمون بعد أن دفنوا شهداءهم... عادوا بجراح وآلام شديدة بعد أن فقدوا الأحباب ورأوا الحزن على وجه رسول الله ﷺ.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعاً إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفاني من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين في أثناء المعركة.

« عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وابنها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته.

قالت: كل مصيبة بعدك جليل! تريد صغيرة». -
يعنى كل شيء يهون مادمت سالماً يا رسول الله ﷺ .

غزوة حمراء الأسد

لما عاد أبو سفيان وأصحابه نظر بعضهم إلى بعض وتلاوموا فيما بينهم وقالوا: لماذا لم ننتظر حتى نقضى على محمد وأصحابه فإنكم تركتموهم وسوف يجمعون لكم ويقاتلوكم مرة أخرى... فهيا لنرجع ونقاتلهم ونقضى عليهم.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ما قالوا نادى على أصحابه ودعاهم للخروج مرة أخرى فخرجوا معه وهم يعانون من الجراح الشديدة حتى وصلوا إلى مكان يُسمى (حمراء الأسد).

وجاء رجل اسمه (معبد بن أبي معبد الخزاعي) إلى رسول الله ﷺ وأسلم دون أن تعلم قريش بإسلامه

فأمره رسول الله ﷺ أن يذهب إلى أبي سفيان ويخوفه من محاربة المسلمين الآن وأن يحتال حيلة ليرد أبا سفيان إلى مكة دون أن يقاتل.

فذهب معبد إلى أبي سفيان وقال له: يا أبا سفيان أدرك نفسك وجيشك وارحلوا الآن فإن محمداً وأصحابه قد جمعوا لكم جيشاً كبيراً لن تقدرُوا عليه... فما كان من أبي سفيان إلا أن أخذ جيشه ورحل إلى مكة.

يوم الرجيع

وقبل أن أذكر تفاصيل حادث يوم الرجيع أود أن أقدم بين يدي هذا الحادث قصة لعاصم بن ثابت - وهو أحد الذين قُتلوا في يوم الرجيع - لنعلم كيف يُكرم الله أوليائه وينصرهم إذا نصرُوا شرعه ودينه وسنة نبيه ﷺ.

*** فعاصم بن ثابت:** هو جد عاصم بن عمر بن الخطاب. كان ممن أبلى وجالد يوم أحد.

وقد كان له مع (سُلافة بنت سعد) شأن أي شأن؛ فقد خرجت مشرّكة مع زوجها طلحة وأولادها الثلاثة: (مسافع، والجُلّاس، وكلاب) إلى أحد وبعد أن اشتد وطيس الحرب رأتهم مُمدّدين على سفوح أحد مقتولين. أما مسافع وكراب، فكانا قد فارقا الحياة، وأما الجُلّاس فوجدته وما تزال به بقية من دماء.

أكبّت سُلافة على ابنها الذي يعالج سكرات الموت، ووضعت رأسه في حجرها، وجعلت تمسح الدماء عن جبينه وفمه، وقد يبس الدمع في عينيها من هول الكارثة، ثم أقبلت عليه وهي تقول: مَنْ صرّعتك يا بني؟ فهمّ أن يجيبها، لكن حشّرة الموت منعتة، فألحّت عليه بالسؤال، فقال: صرّعتني عاصم بن ثابت، وصرّعت أخى مسافعا . . . ثم لفظ آخر أنفاسه.

جُنّ جنون سُلافة بنت سعد وجعلت تصرخ وتبكي وأقسمت باللات والعزى ألا تهدأ لها لوعة، أو ترقأ لعينيها دمعة إلا إذا ثارت لها قريش من عاصم بن ثابت، وأعطتها

جمجمته لتشرب فيها الخمر^(١).

وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرها في قريش، وجعل كل فتى من فتيان مكة يتمنى أن لو ظفر بعاصم بن ثابت وقدم رأسه لسلافة، حتى كان يوم الرجيع في السنة الرابعة من الهجرة^(٢).

تفاصيل يوم الرجيع

في العام الرابع من الهجرة بعث النبي ﷺ سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت فانطلقوا حتى إذا كانوا في مكان بين (عُسقان ومكة) تبعهم بعض المشركين وأحاطوا بهم وأرادوا أن يخذعوهم فقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل رجلاً منكم.

فقال عاصم بن ثابت: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر.

فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً وسبعة آخرين.. وبقي

(١) صور من حياة الصحابة (ص: ٢٢-٢٣).

(٢) الجزء من جنس العمل / د. سيد حسين (٢/٤١، ٤٢).

خبيب وزيد ورجل ثالث فأعطاهم المشركون العهد والميثاق
 ألا يؤذوهم إن استسلموا فنزلوا إليهم فقام المشركون
 وأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر فقتلوه
 وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة . . فاشترى خبيبا
 بنو الحارث . . وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر
 فأسروه عندهم حتى قتلوه بعد ذلك .

احفظ الله يحفظك

هكذا قُتل كل هؤلاء ظلماً وعدواناً في حادثة يوم
 الرجيع .
 لكن أريد أن نرجع مرة أخرى إلى عاصم بن ثابت
 ؓ فإنه قبل أن يُقتل تذكر نذر (سُلفة) الذي نذرتة وهو
 أنها نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم بعد قتله فقام
 عاصم وجرّد سيفه وهو يقول: اللهم إني أحمي لدينك
 وأدافع عنه، فاحم لحمي وعظمي، ولا تُظفر بهما أحداً من
 أعداء الله .

اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم جسدي
آخره .

فلما قُتل أراد المشركون أخذ رأسه ليعطوها لسلافة
بنت سعد التي جعلت لمن جاءها برأس عاصم مائة
ناقة . . فجاءت جماعة النحل والزنابير فثارت في وجوه
المشركين فلم يستطيعوا الاقتراب من جسد عاصم .

فقال المشركون: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه جماعة
النحل والزنابير فنأخذنه . . . فأرسل الله السيل فأخذ
جسد عاصم إلى مكان بعيد لا يعرفونه . . وبذلك حمى
الله جسد عاصم من أن يُشرب فيها الخمر .

* * *

حادثة بئر معونة

ومع أن واقعة (يوم الرجيع) توجب على المسلمين أن يتبصروا قبل بعث أي وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريية، إلا أن ضرورة نشر الدعوة جعلت النبي ﷺ ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمرٌ لا بد منه .

* ومختصر هذه الحادثة أنه جاء رجل اسمه عامر بن مالك إلى رسول الله ﷺ بهدية فرفضها النبي ﷺ وقال: «إني لا أقبل هدية مشرك».

فقال له عامر: يا رسول الله أريدك أن تبعث معنا من ينشر الإسلام ويُعلم الناس في قبائل نجد .
فأرسل معه النبي ﷺ سبعين من القراء كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل . . . فلما وصلوا إلى مكان يقال له (بئر معونة) غدر بهم المشركون فقتلوهم

جميعاً... فلما علم النبي ﷺ بذلك أخذ يدعو عليهم في صلاته لمدة شهر.

• وكان من بين الذين قُتلوا بيثر معونة (عامر بن فهيرة) مولى أبي بكر الصديق الذي كان معه في هجرته مع الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة. وقد حدثت له كرامة في هذه الحادثة أنه لما قُتل رفعت الملائكة إلى السماء ورآه بعض الناس.

• وكان من بين الذين قُتلوا أيضاً بيثر معونة (حرام بن ملحان) الذي لما قُتل أخذ الدم ونضح به على وجهه وهو يقول: فُزت ورب الكعبة.



ما الذي فعله (عمرو بن أمية) في طريق عودته

ورجع عمرو بن أمية الضمري إلى النبي ﷺ حاملاً معه أبناء المصاب الفادح: مصرع سبعين من أفاضل المسلمين...، تُذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد؛ إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح؛ وأولئك ذهبوا ضحية الغدر.

ولما كان عمرو بن أمية في الطريق نزل في ظل شجرة وجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو بن أمية.



النبي ﷺ يدعو على قتلة القراء

لقد تألم النبي ﷺ لأجل هذه المأساة، ولأجل مأساة الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألماً شديداً وتغلب عليه الحزن والقلق، حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التي قامت بالغدر والفتك في أصحابه .

عن أنس قال: «دعا النبي ﷺ على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة ثلاثين صباحاً»^(١) .



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨١٤) كتاب المغازي، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

غزوة بنى النضير

وتفصيل ذلك الغزو أن النبي عليه الصلاة والسلام ذهب إلى منازل بنى النضير ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما «عمرو بن أمية» لدى مرجعه من بئر معونة، فلما فاضهم الرسول ﷺ في الأمر قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيُريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ابن كعب فقال: أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي (رضوان الله عليهم) فأتى رسول الله ﷺ الخبير من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى

المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه
 ﷺ فأخبرهم بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، . . .
 وأمر رسول الله بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.
 واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس
 حتى نزل بهم.
 وذلك في شهر ربيع الأول فحاصروهم ست ليالٍ ونزل
 تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر
 رسول الله بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا
 محمد قد كنت تنهى عن الفساد، وتُعييه على من صنعه
 فما بال قطع النخيل وتحريقها.

وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ
 أن يُجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل
 من أموالهم ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به
 الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعيره
 فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام^(١).

(١) السيرة لابن هشام (٣/١٥٨-١٥٩).

❖ ونزلت سورة الحشر في بني النضير .

غزوة بدر الثانية

وقد تقدّم أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد: موعِدكم وإيانا العامُ القابلُ ببدر، فلما كان شعبانُ، من العامِ القابلِ، خرج رسولُ الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة، وكانت الخيلُ عشرة أفراس، وحمل لواءه على ابن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فانتهى إلى بدر، فأقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة، وهم ألفان، معهم خمسون فرساً، فلما انتهوا إلى مر الظهران - على مرحلة من مكة - .

قال لهم أبو سفيان: إن العام عام جذب، وقد رأيت أني أرجعُ بكم، فانصرفوا راجعين واختلفوا الموعد، فسُميت هذه بدر الموعد، وتسمى بدر الثانية^(١).

(١) زاد المعاد (٣/٢٥٥).

غزوة بنى المصطلق

وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ﷺ بلغه أن (الحارث بن أبي ضرار) رئيس بنى المصطلق قد جهّز جيشاً من قومه ومن بعض أحياء العرب لحرب رسول الله ﷺ .

فبعث النبي ﷺ رجلاً ليتأكد من هذا الخبر . . . فلما تأكد النبي ﷺ من صحة الخبر جهّز جيشاً وخرج به حتى وصلوا إلى مكان يُسمى (المريسيع) وهو قريب منهم جداً . . . فلما علم رئيس بنى المصطلق بقدوم الرسول ﷺ وجيش المسلمين امتلأ قلبه رعباً وانصرف عنه القبائل التي كانت ستقاتل معه فتركوه وحيداً مع جيشه الضعيف .

• وقف النبي ﷺ وأصحابه وتهيئوا للقتال . .
وصف الرسول ﷺ وأصحابه، وراية المهاجرين مع

أبى بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد، فكانت النصره. وانهزم المشركون، وقُتل من قُتل وسبى رسول الله ﷺ النساء والذرارى والنعم والشاء، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد، قتله رجل من الأنصار ظناً منه أنه من العدو^(١).

* وكان (مسافع بن صفوان) زوج (جويرية بنت الحارث) من بين الذين قتلهم المسلمون فى هذه الغزوة.. فقد قتل المسلمون عشرة من المشركين وأسروا سبعمائة رجل وغنموا أموالهم ونساءهم وذراريتهم ومواشيهم وكان من جملة السبى جويرية بنت الحارث - بنت زعيم القبيلة - .

* * *

(١) زاد المعاد (٣/٢٥٧).

كان إسلامها وزواجها سبباً فى حصول الخير لقومها

لما قسم النبى ﷺ سبايا بنى المصطلق كانت جويرية بنت الحارث من نصيب الصحابى الجليل ثابت بن قيس رضي الله عنه فكاتبته على نفسها... أى طلبت منه أن يكتب عليها مبلغاً من المال لتُحضره له فتصبح حرة.

ثم ذهبت جويرية إلى رسول الله ﷺ لتستعينه فى دفع هذا المال لثابت.

فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومى، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك فوقع فى السهم لثابت بن قيس فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى قال: «فهل لك فى خير من ذلك؟».

قالت: وما هو يا رسول الله... قال: «أقضى كتابتك وأنزوجك».

قالت: نعم يا رسول الله قال: «قد فعلت».

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله لا يمكن أن نتركهم أسرى في أيدينا . . . فتركوهم جميعاً .
وبذلك أعتق المسلمون أهل مائة بيت من قبيلة بنى المصطلق بسبب زواج جويرية من رسول الله ﷺ . . . فكانت أعظم الناس بركة على قومها (١) .
فلما رأى هؤلاء الناس أخلاق النبي ﷺ وأصحابه أسلموا لله (جل وعلا) .



(١) حسن: رواه أبو داود (٣٩٣١) كتاب العتق، وأحمد (٢٥٨٣٣) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

غزوة الخندق (الأحزاب)

وكان سبب الغزوة أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد... وكان اليهود يحقدون على النبي ﷺ وأصحابه بسبب نفيهم إلى خيبر.

فخرج بعض ساداتهم مثل (سلام بن أبي الحقيق - سلام بن مشكم - كنانة بن الربيع) وغيرهم إلى قريش بمكة ليُحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ووعدوهم بأن يقفوا بجوارهم وينصروهم.

* فوافقت قريش وخرج أبو سفيان في أربعة آلاف وخرج معهم غطفان وبنو أسد وبعض القبائل التي تعادى النبي ﷺ... حتى بلغ عددهم عشرة آلاف من الكفار.

* * *

حضر الخندق

وسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً^(١).

ولما كانت المدينة تحيط بها الجبال وبساتين من النخيل من كل جانب سوى الشمال، وكان النبي ﷺ يعلم كخبير عسكري حاذق أن زحف مثل هذا الجيش الكبير،

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٢٧).

ومهاجمة المدينة - لا يمكن إلا من جهة الشمال، اتخذ الخندق في هذا الجانب. وواصل المسلمون عملهم في حفره، فكانوا يحفرونه طول النهار، ويرجعون إلى أهليهم في المساء حتى تكامل الخندق حسب الخطة المنشودة قبل أن يصل الجيش الوثني العرمرم إلى أسوار المدينة^(١).

معجزة الرسول ﷺ في حفر الخندق

وبدأ الصحابة في حفر الخندق وكان النبي ﷺ يشاركهم في الحفر. وفي أثناء الحفر كانت هناك صخرة قوية لم يستطع الصحابة أن يحفروها فذهبوا إلى النبي ﷺ ليخبروه بذلك فما كان من النبي ﷺ إلا أنه ذهب معهم إلى مكان الصخرة القوية وأخذ المعول ونزل إليها وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثلثها وهو

(١) ابن هشام (٣/٣٣١).

يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام.. والله إنى لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة».. ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثانى وهو يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس.. والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض».

ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقى منها وهو يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن.. والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»^(١).

الطعام المبارك لجابر بن عبد الله رضي الله عنه

وفى أثناء الحفر كان المسلمون يعانون من شدة الجوع فنظر جابر بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فرأى آثار الجوع بادية على وجهه رضي الله عنه فذهب جابر إلى زوجته وأمرها أن تذبح شاة وأن تُعد الطعام لرسول الله رضي الله عنه فأطاعته وقالت له: لا تفضحنى أمام رسول الله رضي الله عنه فإن الطعام لا يكفى إلا لرسول الله رضي الله عنه واثنتين من أصحابه.

(١) رواه أحمد والنسائي وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٣٩٧/٧).

فذهب جابر وقال للنبي ﷺ سرًا: قد أعددنا لك طعامًا يا رسول الله .

فقام النبي ﷺ ونادى على كل الصحابة وقال لهم: «يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم طعامًا - وكانوا ألف رجل - .»

فوقف جابر يفكر: كيف سيأكل ألف رجل من طعام لا يكفى إلا لثلاثة .

فإذا بالنبي ﷺ يقول له: «لا تخبزا طعامكم حتى أجيء» .

فذهب جابر ومعه النبي ﷺ وأصحابه إلى البيت . فلما رأت زوجة جابر أن النبي ﷺ قد جاء ومعه الجيش كله أخذت تؤنب زوجها جابر . فقال لها: لقد دعاهم النبي ﷺ وهو يعلم ما عندنا من الطعام .

فقالت: لا عليك . ما دام النبي ﷺ هو الذى دعاهم .

فجاء النبي ﷺ وبصق على العجين وسمى باسم

الله وبارك ثم قال لهم: «الآن اخبزوا عجينكم». فأعدوا الطعام . . . وأخذ جابر يدعو الصحابة عشراً عشراً . . . فيأكلون وما يزال إلى الطعام كما هو . . . حتى أكل ألف رجل ولم ينقص من الطعام شيء . . . وأكل النبي ﷺ ثم أعطى الطعام لجابر وأمره أن يأكل هو وزوجته وأن يهدوا لجيرانهم . . . كل ذلك وما زال الطعام كما هو ببركة النبي ﷺ .

موقف المؤمنين والمنافقين

عند رؤية الأحزاب

لما شرع الرسول ﷺ والمؤمنون في حفر الخندق . . . كان المؤمنون يواصلون العمل فإذا كان لأحدهم حاجة ضرورية كان يستأذن رسول الله ﷺ . أما المنافقون فقد كانوا يتظاهرون بأنهم يحفرون ثم يذهبون واحداً تلو الآخر بدون استئذان إلى بيوتهم في الخفاء .

فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

ونزل في المؤمنين الصادقين ثناء الله عليهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

* ولما أحاطت كتائب الشرك المدينة المنورة لم يشعر المؤمنون بالخوف بل ازدادوا ثقة و يقيناً في نصر الله .
قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٣).

أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقد أخذوا يسخرون ويقولون: وعدكم النبي ﷺ بقصور الحيرة

(١) سورة النور: الآية: (٦٣).

(٢) سورة النور: الآية (٦٢).

(٣) سورة الاحزاب: الآية: (٢٢).

ومدائن كسرى وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تذهبوا لقضاء حاجتكم... فأنزل الله عليهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١).

خيانة اليهود

وانطلق حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَدَنَا مِنْ حَصْنِهِمْ، فَأَبَى كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى فَتَحَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: لَقَدْ جِئْتُكَ بَعْرَ الدَّهْرِ، جِئْتُكَ بِقَرِيْشٍ وَغَطَفَانَ وَأَسَدَ عَلِيٍّ قَادَتِهَا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى نَقَضَ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَتِهِ، فَسَرَّ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَشَرَطَ (كَعْبُ) عَلِيٍّ (حُيَيُّ) أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَظْفُرُوا بِمُحَمَّدٍ أَنْ يَجِيءَ حَتَّى يَدْخُلَ مَعَهُ فِي حَصْنِهِ، فَيَصِيْبُهُ مَا أَصَابَهُ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَوَفَّى لَهُ بِهِ. وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبْرَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنَقْضِهِمْ لِلْعَهْدِ.

(١) سورة الاحزاب: الآية: (١٢).

والله لا نعطيهم إلا السيف

ولما رأى النبي ﷺ عشرة آلاف كافر قد أحاطوا بالمدينة خاف على أصحابه وأراد أن يعقد صلحاً منفرداً بينه وبين غطفان على أن تفك غطفان الحصار عن المدينة وتنسحب بجيوشها على أن يعطيهم الرسول ﷺ ثلث ثمار نخل المدينة.

واستشار النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد.

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم - يعنى غطفان - لا يطمع واحد منهم أن يأخذ منا ثمرة واحدة إلا إذا اشتراها أو نزل ضيفاً عندنا... أتريد أن نعطيهم ثلث ثمار نخل المدينة بعد أن أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك وبه... والله لن نعطيهم إلا السيف... ثم خرج سعد بن معاذ لسادة غطفان وقال لهم: اذهبوا فوالله لا نعطيكم إلا السيف.



محاولة فاشلة... ومبارزة ماهرة

* وحاول المشركون اقتحام الخندق من مكان صغير فأخذ المسلمون يرشقونهم بالسهم حتى لم يستطع واحد منهم أن يعبر إلى المدينة .

* وقام على بن أبى طالب بمبارزة الفارس المغوار (عمرو بن عبد ود) وبعد مبارزة عنيفة استطاع على بن أبى طالب أن يقتله . . ففرح المسلمون وكبروا .

* وأصيب سعد بن معاذ فى يوم الخندق بسهم فقال :
اللهم لا تُمتنى حتى تُقر عينى من بنى قريظة .

خيانة اليهود

وفى تلك الأثناء لما يشس المشركون من عبور الخندق ودخول المدينة وكان هناك عهد بين النبى ﷺ وبين يهود بنى قريظة الذين كانوا يعيشون فى المدينة على أنه إذا جاء عدو يريد غزو المدينة فلا بد أن يقفوا سوياً ضد

هذا العدو أو أن يكون اليهود على الحياء فلا يقاتلوا مع
أى طرف .

لكن اليهود هم اليهود... فخانوا العهد مع النبي
ﷺ وأرادوا أن يفتحوا للمشركين الأبواب الخلفية
ليدخلوا ويقتلوا النساء والأطفال والشيوخ ثم يقتلوا النبي
ﷺ وأصحابه .

لكن النبي ﷺ علم بهذه المؤامرة الحقيرة .

نعيم بن مسعود... ودوره الخالد

وهنا جاء رجل اسمه (نعيم بن مسعود) وأسلم سرًا
أمام النبي ﷺ ولم يعلم أحدٌ بإسلامه .
وكان نعيم صديقًا لقريش وغطفان وصديقًا لليهود بنى
قريظة .

فقال نعيم: يا رسول الله، إنى قد أسلمت، وإن قومي
لم يعلموا بإسلامي فمرنى بما شئت؛ فقال رسول الله
ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن

الحرب خُدعة».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيْظَةَ، وكان لهم صديقًا في الجاهلية، فقال: يا بنى قُرَيْظَةَ، قد عرفتم وُدِّي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرّون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه.

وقد وقفتم معهم وعاديتهم محمدًا... وإنهم سيأخذون ما يريدون ثم يتركوكم بعد ذلك لينتقم منكم المسلمون فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهائن من أشرفهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تُناجزوه.

فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قُرَيْشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب

ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكم إياه نصحاً لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، (من قريش وغطفان) رجالاً من أشرافهم فنُعطيكمهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تهموني.

قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم.

قال: فاكتموا عني.

قالوا: نفعل، فما أمرك، . . . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا. ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تُعطونا رهنًا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإنا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه . . . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم (نعيم بن مسعود) لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل

إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك رجعوا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطينا رهناً، فأبوا عليهم... وخذل الله بينهم.

الدعاء مفتاح النصر

وهنا قام النبي ﷺ يدعو من قلبه لكي يرد الله الأحزاب عن المدينة فكان النبي ﷺ يدعو ويقول: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(١).

فسلط الله عليهم الريح الباردة الشديدة فجعلت تطلع خيامهم وتكفأ قدورهم.

(١) مشفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

فأرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليرى ماذا يصنع المشركون فتسلل حذيفة ودخل معسكر المشركين ليلاً متخفياً فرأى أبا سفيان وهو يقول لأصحابه: يا معشر قريش لا بد أن نرحل فقد خذلنا يهود بني قريظة وقد لقينا من تلك الرياح ما ترون فهيا نرحل فإني مرتحل... ثم قام وركب ناقته وقام الناس خلفه وعادوا إلى مكة مخذولين بعد أن سلط الله عليهم الرياح وأرسل جنوداً من الملائكة يزلزلونهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف.

الآن نغزوهم ولا يغزونا

وكانت هذه آخر مرة يأتي فيها المشركون لغزو المسلمين في عقر دارهم.
عن سليمان بن صرد قال: سمعتُ النبي ﷺ يقولُ حينَ أُجلى الأَحزابُ عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسيرُ إليهم»^(١).

(١) صحيح: رواه البخاري (٤١١٠) كتاب المغاري.

غزوة بني قريظة

وكان سبب هذه الغزوة أن يهود بني قريظة خانوا العهد مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى الأحزاب وأرادوا أن يدخلوهم من الأبواب الخلفية حتى يقضوا على النبي ﷺ وأصحابه.

* فجاء جبريل (عليه السلام) إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يذهب هو وأصحابه إلى بني قريظة ليحاصروهم ويحكم فيهم بحكم الله (جل وعلا) وأخبره جبريل أنه سيشاركهم في هذه الغزوة وسيلقى الرعب في قلوب بني قريظة.

* فقال النبي ﷺ لأصحابه: «لا يُصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»^(١) وذهب الصحابة إلى بني قريظة رغم ما كان بهم من الجوع والتعب.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٤٦) كتاب الجمعة، ومسلم (١٧٧٠) كتاب الجهاد والسير.

* وكان السبب في غدر يهود بني قريظة بعهدهم مع رسول الله ﷺ هو أن حُيى بن أخطب زعيم يهود بني النضير هو الذى ذهب إلى كعب بن أسد زعيم يهود بني قريظة وطلب منه أن يغدر بعهدته مع رسول الله ﷺ وأن يفتح الأبواب للأحزاب لكي يقضوا على النبي ﷺ وأصحابه. فرفض كعب بن أسد في بداية الأمر ولكنه وافق بعد إلحاح شديد من حُيى بن أخطب واشترط عليه أن يكون معه في الحصن فيصيبه ما أصحبه. . فوافق على ذلك.

النبي ﷺ يحاصرهم.. وكعب بن أسد يشاورهم

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حُيى بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب

ابن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأن رسول ﷺ لن يتركهم قام زعيمهم كعب بن أسد وقال لهم: يا معشر يهود سأعرض عليكم ثلاثة أمور وعليكم أن تختاروا واحدة منها.

قالوا: وما هي؟

قال: الأمر الأول أن تؤمن مع محمد ﷺ وتتابعه فقد تأكدنا جميعاً أنه نبي... وبذلك نأمن على دماننا وأموالنا وأبنائنا ونسائنا.

فقالوا: لن نترك ديننا أبداً.

قال: فإذا أبيتم الرأي الأول فتعالوا نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج ونقاتل محمداً حتى يحكم الله بيننا فإن انتصرتنا فهذا ما نريد وإن قُتلنا نكون بذلك لم نترك أبناءنا ونساءنا لهم.

قالوا: وما ذنب هؤلاء المساكين... وهل هناك أحد يفكر في قتل نسائه وأولاده.

قال: فيها هو الرأي الأخير... أنتم تعلمون أن اليوم

هو يوم السبت وقد علم المسلمون أننا لا نفعل أى شىء
فى يوم السبت . . فما رأيكم فى أن نخرج لقتالهم فجأة
عسى أن نقتلهم وهم يشعرون الآن بالأمان فى يوم
السبت .

قالوا: كيف نقاتل يوم السبت . . . أما علمت أن
أجدادنا لما خالفوا أمر الله وعملوا يوم السبت مسخهم الله
وعاقبهم .

فقال لهم كعب بن أسد: لم يكن واحد منكم حازماً
أبدًا فى حياته . . . فانتظروا ما يفعله بكم محمد
وأصحابه .

دعوه حتى يتوب الله عليه

وأرسل اليهود إلى النبى ﷺ ليعث إليهم أبا لُبابة
ابن عبد المنذر ليستشيروه فى أمرهم . . فأرسله النبى
ﷺ إليهم فلما رأوه قاموا فى وجهه يبيكون، وقالوا: يا
أبا لُبابة! كيف ترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟

فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبيح، ثم عَلِمَ من فوره أنه قد خان الله ورسوله، فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف ألا يحلّه إلا رسولُ الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخلُ أرضَ بني قريظة أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك، قال: «دَعُوهُ حتى يتوبَ اللهُ عليه». . . . ثم تاب الله عليه، وحلّه رسول الله ﷺ بيده.

لقد حكمت فيهم بحكم الله

ولما سمع اليهود مقالة أبي بُابة اختاروا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ لأنه كان صديقاً لهم في الجاهلية - قبل أن يُسلم - ظناً منه أنه سيخفف عليهم الحكم ويرحمهم.

فقالوا: نترز على حكم سعد بن معاذ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأتى به على حمار عليه

إكاف من ليف قد حمل عليه وحفَّ به قومه، وقالوا له (يعنى اليهود): يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك فلم يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أتى لى أن لا يأخذنى فى الله لومةً لائمٌ فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «أحكم فيهم».

قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسم أموالهم.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله».

ثم دعا سعد فقال: «اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضنى إليك».

فانفجر جرحه.



إسلام بعض يهود بنى قريظة

وفى ليلة نزول قريظة على حكم رسول الله ﷺ أكرم الله أربعة أنفار من اليهود فأسلم ثلاثة منهم ليسوا من بنى قريظة والرابع قُرظى .

تنفيذ الحكم فى يهود بنى قريظة

ثم خرج النبي ﷺ إلى سوق المدينة وأمر بحفر الحُفْر ثم أمر أن تُضرب أعناق الرجال من يهود بنى قريظة ثم يُلقَون فى تلك الحفر .

وكان عدد الرجال الذين قُتلوا قُرابة السبعمائة رجل . . من بينهم رئيسهم كعب بن أسد وعدو الله حُسى بن أخطب زعيم يهود بنى النضير الذى لما أخذوه ليقتلوه نظر إلى رسول الله ﷺ وقال له : «أما والله ما لُمت نفسى فى عداوتك أبداً . . فقتلوه» .

* ثم بعد ذلك قَسَمَ النبي ﷺ أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين .

عرش الرحمن يهتز لموت سعد بن معاذ

ونعود مرة أخرى لسعد بن معاذ الذي انفجر جرحه وبدأت دماؤه تسيل بشدة.. فجاء إليه رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر.

تقول أمنا عائشة رضيها: فوالله إنى لأعرف بكاء رسول الله ﷺ من بكاء أبي بكر من بكاء عمر.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا سعد جزاك الله خيراً فقد أنجزت ما وعدته ولينجزنك الله ما وعدك».

* وفاضت روح سعد بن معاذ رضيها.

وفي تلك اللحظة يأتي جبريل (عليه السلام) ليخبر النبي ﷺ بأن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد بن معاذ.

وفي تلك اللحظة صاحت أم سعد حزناً على وفاة ابنها فقال لها النبي ﷺ: «يا أم سعد: ألا يجف دمك

ويذهب حُرُنُكُ بأن تعلمي أن ابنك هو أول من ضحك الله له
واهتز له العرش».

ثم أخبر النبي ﷺ أصحابه بأن الله (عز وجل)
أرسل سبعين ألف ملك ليحملوا جنازة سعد بن معاذ...
وأن هؤلاء الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل اليوم وإنما
نزلوا لتشيع جنازة سعد بن معاذ.



صلاح الحديدية

وفي العام السادس من الهجرة رأى رسول الله ﷺ في منامه أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك . . . ونحن نعلم أن رؤيا الأنبياء وحى .

فلما أخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك اشتاقت قلوبهم إلى أن يذهبوا لأداء العمرة فأمرهم النبي ﷺ بأن يتجهزوا للخروج إلى العمرة فاجتمع معه ألف وخمسمائة رجل ولم يكن معهم إلا السيوف فقط؟



تخلف المنافقين عن الخروج

فالأعراب المنتشرون حول يثرب، ومن كان على
شاكرتهم من المنافقين .

عرفوا أن أهل مكة سوف يقاتلون محمداً عليه الصلاة
والسلام، وأنه إذا أبى إلا زيارة البيت - كما أعلن - فلن
تدعه قريش حتى تهلكه أو تهلك هي فهي عمرة محفوفة
بالأخطار في نظرهم، والفرار منها أجدى!!

ولو فرض أن الرسول عليه الصلاة والسلام نجح في
مقصده هذا، فالاعتذار إليه بعد عودته سهل .

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ
لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴾ (١١) بل
ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزيّن ذلك في
قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً ﴿ (١٢) .

(١) سورة الفتح: الآيات: (١١، ١٢).

وخرج المؤمنون الوثاقون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، وذلك في ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة وساروا مُلبين يطوون الطريق إلى البيت العتيق فلما بلغوا «عسفان» على مرحلتين من مكة جاء الخبر إلى المسلمين أن قريشاً خرجت عن بكرة أبيها، وقد أقسمت ألا يدخل بلدهم مسلم، وأن جيشهم استعد للنضال، ويقود خيله خالد بن الوليد^(١).

المسلمون يتحركون إلى مكة

وتحرك المسلمون تجاه مكة وهم يحملون بتلك اللحظة الخالدة التي يطوفون فيها بالبيت .
فلما وصلوا إلى مكان يُسمى بذي الحليفة شقَّ النبي ﷺ أحد سنام الجمل حتى يعلم الناس أنه (هدى) وأنه جاء للعمرة ولم يأت للقتال.



(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٦٦ : ٣٦٧).

محاولة قريش صد المسلمين عن البيت

ولما سمعت قريش بخروج النبي ﷺ وأصحابه إلى مكة عقدت مجلساً استشارياً قررت فيه صد المسلمين عن البيت .

وعلم النبي ﷺ أن خالد بن الوليد - وكان وقتها مشركاً - قد أخذ معه مائتي فارس ليصدوا المسلمين عن البيت .

معجزات النبي ﷺ في الحديدية

ولما نزل المسلمون عند بئر الحديدية وكان الماء قليلاً فأخذ الصحابة يشكون من شدة العطش فدعا النبي ﷺ بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه في البئر ففاضت بالماء . . . فشرب الناس وتوضؤوا .

* بل وجاء في رواية أخرى أنه لما عطش الناس في الحديدية وضع النبي ﷺ يديه في إناء وسمى باسم الله

ودعا فجعل الماء يفسور من بين أصابعه كأمثال العيون
فشرب الناس وتوضؤوا.

قريش تتفاوض مع النبي ﷺ

وبدأت المفاوضات بين النبي ﷺ وقريش ولكن لم
تكن هناك نتيجة إيجابية لتلك المفاوضات.

* وفي تلك الأثناء أراد بعض شباب قريش الطائشون
أن يفعلوا أى شىء يكون سبباً فى إشعال نار الحرب لأنهم
لا يريدون سلاماً ولا صلحاً مع النبي ﷺ وأصحابه.

فقرروا أن يخرجوا ليلاً ويتسللوا إلى معسكر
المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل نار الحرب، وفعلاً قد
قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم
ليلاً فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر
المسلمين، غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم
جميعاً... ورغبة فى الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ
وعفا عنهم، وفى ذلك أنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ

عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِيْظَنِّ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾ (٢٤) (٣) .
 * وهكذا عفا النبي ﷺ عنهم وخلقى سبيلهم .

النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى قريش

ولم يكلّ الحبيب ﷺ ولم يملّ في سبيل تحقيق
 السلم، وإخماد نار الحرب التي يشعلها الكافرون .
 * فيها هو ﷺ يدعو عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبيعته
 إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على
 نفسى، وليس بها من بنى عدى أحد يمنعنى، وقد عرفت
 قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليها، ولكن أدلك على
 رجل هو أعز منى: عثمان بن عفان .

قال: فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش
 يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٤) .

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٣٦٨) .

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٠٨) كتاب الجهاد والسير .

معظمًا لحرمة، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردفه خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ (١).

ويا له من أدبٍ عظيمٍ وحبٍ شديدٍ لشخص رسول الله ﷺ.

* ومما يُذكر هنا أن مكة لم تخلُ من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات.

كانت قلوبهم معلقة بالمسلمين المحجوزين خارج مكة. لقد انتشر الإسلام سرًّا في بيوت كثيرة طالما تشوقت إلى اليوم الذي تستطيع فيه أن تُظهر إيمانها، وتتخلص من سيطرة الكفر عليها.

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٣٢٣).

ويظهر أن عثمان اتصل بأولئك النفر المؤمن ويشرهم بقرب الفتح، فرأت قريش أن عثمان قد عدا الحدود المعهودة، وأمرت باحتباسه عندها، وشاع - لدى المسلمين - أن عثمان قُتل^(١).

إشاعة مقتل عثمان... وبيعة الرضوان

واحتبسته قريش عندها - ولعلمهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الوضع الراهن، ويبرموا أمرهم، ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة - وطال الاحتباس، فشاع بين المسلمين أن عثمان قُتل، فقال رسول الله ﷺ لما بلغت تلك الإشاعة: «لا نبرح حتى نقاتل القوم» ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبائعونه على أن لا يفروا، وبايعته جماعة على الموت.

* * *

(١) فقه السيرة للبخاري (ص: ٣٧٢).

بيعة الرضوان

وتحت شجرة الحديبية قال النبي ﷺ لأصحابه: «من يبايعني على الموت» فقاموا جميعاً تحت الشجرة ومدوا أيديهم وبايعوا على الموت وأخذ النبي ﷺ بيده الأخرى وقال: «هذه عن عثمان».

وكانت بيعة هامة وذلك لأن المسلمين كانوا بلا سلاح ومع ذلك بايعوا رسول الله ﷺ على الموت.

وسُميت هذه البيعة: بيعة الرضوان التي قال عنها الحق (جل وعلا): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨).

ولما تمت البيعة جاء بعد ذلك عثمان فبايعه وفرح المسلمون فرحاً شديداً بعودة عثمان سالماً من عند قريش.

(١٨) سورة الفتح: الآية: (١٨).

سهل لكم من أمركم

وهنا أرسلت قريش سهيل بن عمرو لإبرام الصلح مع النبي ﷺ.

فلما جاء سهيل قال النبي ﷺ لأصحابه: «سهل لكم من أمركم».

فقال له سهيل: هيا لنكتب بيننا وبينك كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم».

ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ».

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما

صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد بن عبد الله».

فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني،... اكتب: محمد بن عبد الله...».

فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنظوف به».

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل،... فكتب.

فقال سهيل: وعلى أن لا يأتك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

* وكان الذي يكتب بنود الصلح على بن أبي طالب
رضي الله عنه.



شروط الصلح وبنوده

وكانت شروط صلح الحديبية وبنوده تتلخص فيما

يلي:

(١) وضع الحرب لمدة عشر سنين فلا يحاربهم النبي

ﷺ ولا يحاربونه.

(٢) من أتى رسول الله ﷺ لمسلم بغير إذن وليه

فإن النبي ﷺ يرده عليهم وأما من جاء من المسلمين

يريد أن يلحق بالمشركين فلهم أن يقبلوه.

(٣) أن يرجع النبي ﷺ وأصحابه هذا العام.. فإذا

كان العام القادم خرج المشركون من مكة وتركوها للنبي

ﷺ وأصحابه لمدة ثلاثة أيام ليظفروا بالبيت.. على ألا

يدخلوها إلا بالسيوف فقط.



اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح

لقد كان المسلمون يعلوهم الحزن الشديد لسببين اثنين:

الأول: أن النبي ﷺ كان قد أخبرهم أنهم سيظوفون

بالبيت .

والثاني: أن النبي ﷺ قبل ضغط قريش في هذا

الصلح .

وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة، بحيث

غلب الهم والحزن على التفكير في عواقب بنود

الصلح، . . . لعل أعظمهم حزنًا كان عمر بن الخطاب،

فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: ألسنت

نبي الله حقًا؟! .

قال: «بلى» .

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟! .

قال: «بلى» .

قلت: فلم تُعطي الدنيا (١) في ديننا إذا؟!

قال: «إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري».

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنظوف به؟

قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟».

قال: قلت: «لا».

قال: «فإنك آتية ومطوف به».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي

الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلم تُعطي الدنيا في ديننا إذا؟

قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس

يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على

الحق.

(١) أي: لماذا تنازل لهم ونعطيهم أكثر من حقهم.

قلت: أليس كان يحدثنا أننا سنأتى البيت ونطوف به؟

قال: بلى، فأخبرك أنه تأتبه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتبه ومطوف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(١) - أى: عمل أعمالاً

صالحة كثيرة ليكفر عن مجادلته للنبي ﷺ - .

قصة أبى بصير رضي الله عنه

«... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو

بصير - رجل من قريش - مسلماً مهاجراً.

فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا: العهد الذى جعلت لنا

فيه، فدفعه إلى الرجلين.

فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من

تمر لهم.

فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

يا فلان هذا جيداً، فاستلَّهُ الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به، ثم جربت . . .

فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى مات و فرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأى هذا خوفاً».

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم .

فقال النبي ﷺ: «ويل أمه مُسعر حرب لو كان له أحد»^(١) فلما عرف ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر^(٢) قال: وبتقلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي عقد أبوه سهيل الصلح مع رسول الله ﷺ . . . وكان قد أسلم وحبسه أبوه حتى لا يلحق بالمسلمين فاستطاع أن يهرب فلحق بأبي بصير، . . .

(١) لو كان له أحد يتصره، ويؤاخره على إيقاد نار الحرب لا تثار الفتنة وأفسد الصلح.

(٢) سيف البحر: ساحل البحر وهو طريق قريش إلى الشام.

وجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي
بصير حتى اجتمعت فيهم مجموعة من الرجال.

فوالله لا يسمعون بقافلة خرجت لقريش إلى الشام إلا
اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش
إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم أحداً
جاءه مسلماً أبداً... فإذا جاءه رجل مشرك يريد أن يسلم
فله أن يقبله ولا يرده للمشركين. فأرسل النبي ﷺ
إليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (١١).

كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً

لقد ظن المسلمون في بداية الأمر أن صلح الحديبية كان فيه تنازل للمشركين.. لكن مع مرور الأيام يتقن المسلمون أن صلح الحديبية كان فتحاً عظيماً.

فمن المعلوم أن أكثر الناس كانوا يخافون من بطش قريش وإيذائها فلما علم الناس أن هناك هدنة بين المسلمين والمشركين لمدة عشر سنوات وأن أرض الجزيرة قد انتشر فيها الأمن والأمان أقبل أكثر الناس على الإسلام وأسلموا.

ولذلك نجد أن الذين أسلموا بعد صلح الحديبية كانوا أضعاف الذين أسلموا قبل ذلك.

والدليل على ذلك: أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية ومعهم ألف وأربعمائة - أو ألف وخمسمائة - ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف موحد.

مكاتبة الملوك والأمراء

وفي السنة السادسة من الهجرة وبعد عقد صلح
الحديبية مع قريش بدأ النبي ﷺ يكتب إلى الملوك
والأمراء يدعوهم إلى الإسلام فكتب إلى النجاشي ملك
الحبشة.. وكتب إلى كسرى ملك فارس.. وكتب إلى
قيصر ملك الروم.. وكتب إلى المقوقس ملك مصر..
وكتب إلى غيرهم من الملوك والأمراء.



غزوة خيبر

لقد كان هناك ثلاثة أحزاب يحاربون المسلمين:

(١) كفار قريش .

(٢) اليهود (بنى قينقاع - بنى النضير - بنى قريظة).

(٣) قبائل نجد .

فلما عقد النبي ﷺ الصلح مع قريش لم يبق له إلا اليهود وقبائل نجد .

فأما قبائل نجد فقد كانت أقلها خطراً على المسلمين .

فأراد النبي ﷺ أن يتخلص من كيد اليهود .

وكان النبي ﷺ قد أجلى يهود بنى قينقاع وقضى

على يهود بنى قريظة الذين خانوا العهد مع رسول الله

ﷺ فقتل رجالهم وقسم أموالهم ونساءهم وأولادهم

على المسلمين .

وأما يهود بنى النضير فقد أجلاهم النبي ﷺ إلى

خيبر عندما علم أنهم حاولوا قتله .
فاتخذ يهود بنى النضير خيبر وكرراً للدسائس
والمؤامرات . . . وكانوا هم الذين جمعوا الأحزاب ضد
المسلمين وأثاروا بنى قريظة على خيانة العهد مع الرسول
ﷺ وهم الذين حاولوا قتل النبي ﷺ . . . فكان
لابد من القضاء على يهود بنى النضير وذلك من خلال
غزو خيبر .



المسير إلى خيبر

قال المفسرون: إن خيبر كانت وعداً وعدها الله تعالى

بقوله: ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾^(١)

يعنى: صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة (خيبر).

ولما كان المنافقون وضعفاء الإيمان تخلفوا عن رسول

الله ﷺ في غزوة الحديبية، أمر الله تعالى نبيه ﷺ

فيهم قائلاً: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا

ذُرُونًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ

مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢).

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر، وأعلن

أن لا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا

أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة.



(١) سورة الفتح: الآية: (٢٠).

(٢) سورة الفتح: الآية: (١٥).

رأس المنافقين يخبر اليهود بمقدم النبي ﷺ

وقد قام المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين (عبد الله بن أبي) إلى يهود خيبر: أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عَزَلْ لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى غطفان، يستمدونهم لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومُظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين^(١).

وفى الطريق قال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: يا عامر ألا تُسمعنا من شعرك.

فأنشد عامر بن الأكوع قائلاً:

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٣).

اللهم لولا أنت ما اعتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

فسمعه رسول الله ﷺ وهو يُنشد هذه الكلمات
فقال: «يرحمه الله»^(١) - أي: عامر بن الأكوع - .
فقال رجل من المسلمين: وجبت يا رسول الله .
وكان الصحابة يعلمون أن من يقول له رسول الله
(يرحمك الله) سوف يموت شهيداً في المعركة وقد كان:



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٤٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٨٠٢) كتاب
الجهاد والسير من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

الجيش الإسلامى يتحرك إلى أسوار خيبر

بات المسلمون قريباً من خيبر فى تلك الليلة الأخيرة التى بدأ فى صباحها القتال ولم تشعر بهم اليهود فى تلك الليلة.

ويظهر أن اليهود ظنوا أن زحف المسلمين صوب غطفان فلم يعيروا الأمر التفاتاً بل أصبحوا غادين إلى حقولهم بمساحيهم ومكاتلهم حتى فوجئوا بالمسلمين يسرون نحوهم، فارتدوا إلى حصونهم فزعين، وهم يقولون: محمد والخميس!

فقال النبى ﷺ: «خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١).



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٩٧) كتاب المغازى - ومسلم (١٣٦٥) كتاب الجهاد.

وأمرهم شورى بينهم

وكان النبي ﷺ اختار لمعسكره منزلاً، فأتاه حُباب ابن المنذر فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلك الله، أم هو الرأى فى الحرب؟ قال: «بل هو الرأى».

فقال: يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جداً من حصن (نطاة)، وجميع مقاتلى خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندرى أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم، ولا نأمن من بياتهم، وأيضاً هذا بين النخلات، ومكان غائر، وأرضٌ وخيمة، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذة معسكراً، قال ﷺ: «الرأى ما أشرت»، ثم تحول إلى مكان آخر.

ولما دنا من خيبر وأشرف عليها قال: «قفوا»، فوقف الجيش فقال: «اللهم ربّ السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، فإننا لنسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها ونعوذ بك

من شر هذه القرية وشر أهلها، وشر ما فيها، أقدموا بسم
اللدء (١)

حصون خيبر

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين، شطر فيها خمسة
حصون:

- ١- حصن ناعم.
- ٢- حصن الصعب بن معاذ.
- ٣- حصن قلعة الزبير.
- ٤- حصن أبي.
- ٥- حصن النزار.

والحصون الثلاثة الأولى تقع في منطقة يقال لها
(النطاة)، وأما الحصنان الآخران فيقعان في منطقة تُسمى
بالشق.

(١) رواه الطبراني (٢٣٣/٨) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه العلامة
الالباني في تحقيق فقه السيرة (١/٣٤٠).

أما الشطر الثاني ويُعرف بالكتيبة، ففيه ثلاثة حصون فقط :

١- حصن القموص (كان حصن ابن أبي الحقيق من بنى النضير).

٢- حصن الوطيح.

٣- حصن السلالم.

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه الثمانية، إلا أنها كانت صغيرة لا تبلغ إلى درجة هذه القلاع في مناعتها وقوتها.

والقتال المرير إنما دار في الشطر الأول منها، أما الشطر الثاني فحصونها الثلاثة مع كثرة المحاربين فيها سلمت دونما قتال^(١).



(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٧).

صاحب الراية الذي يفتح الله على يديه حصون خيبر

وفي غزوة خيبر كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان به رمد في عينيه . . . فقال في نفسه: أنا أتخلف عن رسول صلى الله عليه وسلم .

هذا لا يكون أبداً . فخرج حتى لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم . فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» .

فقال: هو يا رسول الله يشتكى عينيه .

فقال: «أرسلوا إليه فأتى به» .

فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى

كان لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا علي إذا وصلت إلى هناك فادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه... فوالله؛ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ» (٢١) (٢).

(علي) يقتل (مرحب اليهودي)

وأول حصن هاجمه المسلمون من هذه الحصون الثمانية هو حصن ناعم، وكان خط الدفاع الأول لليهود لمكانه الاستراتيجي، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودي الذي كان يُعدُّ بألف رجل.

خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمسلمين إلى هذا الحصن، ودعا اليهود إلى الإسلام، فرفضوا هذه الدعوة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢١٠) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) حُمْرُ النَّعَمِ: أي خيراً لك من الإبل الحمراء التي كانت تساوي عند العرب ثروة كبيرة.

وبرزوا إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب، فلما خرج إلى ميدان القتال دعا إلى المبارزة.

فتقدم عامر بن الأكوع لبيارزه... فقتل عامر رضي الله عنه.

وهنا تقدم على بن أبي طالب رضي الله عنه وبارزه مبارزة شديدة حتى ضربه على رأسه فقتله ثم فتح الله على يديه حصون خيبر حصناً بعد حصن... حتى فُتحت كل الحصون وبذلك تم فتح خيبر. وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ فصالح رسول الله ﷺ وطلب منه ألا يقتل من في الحصون وأن يترك الذرية على أن يخرج اليهود من خيبر ويتركوا للمسلمين الأرض والمال وكل شيء فاشتراط عليهم النبي ﷺ ألا يكتموا شيئاً ولا يُخبئوا شيئاً.



تقسيم الغنائم

وأخذ النبي ﷺ يُقسم الغنائم على أصحابه ﷺ
وكانت غنائم خيبر هي أكبر غنائم حصل عليها المسلمون
في كل غزواتهم.

وهنا أراد المهاجرون أن يردوا كل ما أخذوه من
الأنصار عرفاناً بالجميل ولكن الأنصار لم يقبلوا أي شيء
فقد كانوا يحبون إخوانهم المهاجرين حباً جماً... ولا
عجب في ذلك فقد غرس النبي ﷺ في قلوبهم المحبة
الخالصة لوجه الله (جل وعلا).



إن تصدق الله يصدقك

✽ عن شداد بن الهاد رضي الله عنه: «أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فأمن به، وأتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ﷺ سبياً، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟

قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟

قال: «قسمته لك».

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمي إلى ههنا (وأشار إلى حلقه) بسهم، فأموت، فأدخل الجنة.

فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به إلى النبي ﷺ يحمل قد

أصابه سهم حيث أشار .

فقال النبي ﷺ : «أهو هو؟» .

قالوا: نعم .

قال: «صدق الله، فصدقته»، ثم كَفَنَهُ النبي ﷺ في جِبة النبي ﷺ ، ثم قَدَّمَهُ فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك»^(١) .

النبي ﷺ يتزوج صفية بنت حبي بن أخطب

وكانت صفية بنت حبي بن أخطب (زعيم اليهود) بين من أسرن من نساء خيبر، وقعت في يد أحد الصحابة، فاستردها منه الرسول . ثم أعتقها وبني بها، وجعل مهرها عتقها .

* * *

(١) صحيح رواه النسائي (١٩٥٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن النسائي (٩٧/٥) .

فى بيت النبوة

وعادت صفية ؓ مع الحبيب ﷺ بعد أن بنى بها فى طريق العودة إلى المدينة المنورة .
وكانت فى قمة السعادة فهى التى لم يخطر ببالها أن تكون واحدة من نساء المؤمنين فكيف وهى الآن من أمهات المؤمنين .

يا لها من لحظة سعيدة يعجز القلم عن وصفها!!!
جاء البشير إلى أهل المدينة يعلمهم بقدم رسول الله ﷺ ، فخرجت المدينة تستقبل رسول الله ﷺ عند عودته من هذه الغزاة . . . كانت وجوه الرجال تنهلل بالبشر ، والولدان يغمهم الفرح ، بينما كانت النساء على أسطح المنازل ، وقد عمرت أفئدتهم بالسرور .

أما المنافقون ، فقد كانوا فى كمد رهيب ، يُظهرون غير ما تُخفى الصدور ، فلقد امتلأت قلوبهم حزناً لنصر رسول الله ﷺ ، وفضحهم الله عز وجل ، وجعل كلمة الذين كفروا

السفلى وكلمة الله هي العليا ^(١).

يهودية تضع للنبي ﷺ شاة مسمومة

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخبير بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام بن مشكم - شاة مسمومة .

عن أنس بن مالك رضي عنه قال: «إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجىء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كان الله ليُسلطك على ذلك»، قال: قالوا: ألا تقتلها، قال: لا فما زلت أعرفها في لهوات ^(٢) رسول الله ﷺ ^(٣).

وفي رواية أن الذي أهدى الشاة زينب بنت الحارث

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٢) بتصريف.

(٢) لهوات: جمع لهات، اللحم الحمراء المعالقة في أصل الخنك، كانه يقر للنسم علامة، سواداً وغيره.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٧) كتاب النجاة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

امرأة سلام بن مشكم وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاة ثم جاءت بها، فأما النبي ﷺ فأكل منها شيئاً فلم يسغها وأما بشر بن البراء بن معرور فأساعها، وقال النبي ﷺ: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت»^(١).

قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعريين

وفي هذه الغزوة قَدِمَ عليه عليه ﷺ ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه، ومعهم الأشعريون، عبد الله بن قيس (أبو موسى)، وأصحابه.

ولما قَدِمَ جعفرٌ على النبي ﷺ، تلقاه وقبّل جبهته، وقال: «والله ما أدرى بأيّهما أفرح، بفتح خبير أم بقدوم جعفر؟»^(٢).

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٧٠ / ١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٤٧ / ١).
 وصححه العلامة الألباني في فقه السيرة (٣٤٧ / ١).
 (٢) رواه الطبراني (٢ / ١١ - رقم ١٤٧٨). والزيار (٤ / ١٥٩، ١٣٢٨).

غزوة ذات الرقاع

ولما فرغ النبي ﷺ من كسر جناحين قوين من
أجنحة الأحزاب الثلاثة: ألا وهم: قريش واليهود . .
تفرغ النبي ﷺ إلى الجناح الثالث: ألا وهم الأعراب
المتشربين في صحارى نجد . . . والذين ما زالوا يقومون
بأعمال النهب والسرقه بين آن وآخر .
فقام النبي ﷺ وأصحابه بحملة تأديبية عرفت بغزوة
ذات الرقاع .

جنتكم من عند خير الناس

وكان هناك محاولة لاغتيال النبي ﷺ ولكن الله
(عز وجل) دائماً يحوطه بحفظه وعنايته .
عن جابر بن عبد الله قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ ، حتى
إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة،

تركناها لرسول الله ﷺ ، قال: فجاء رجل من
المشركين، . . . وسيف رسول الله معلق بشجرة فأخذ
سيف نبي الله ﷺ فاخترطه، فقال لرسول الله ﷺ :
أتخافني؟

قال: «لا».

قال: فمن يمنعك مني؟ - أي: يحميك مني؟ -.

قال: «الله بمنعني منك».

قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد
السيف وعلقه.

❖ وفي رواية أن هذا الرجل أخذ السيف وقال لرسول
الله ﷺ : من يمنعك مني؟

قال: «الله عز وجل».

فسقط السيف من يديه فأخذه رسول الله ﷺ فقال:
«من يمنعك مني؟».

قال: كن كخير آخذ.

قال: «أشهد أن لا إله إلا الله؟».

قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلي سبيله.

قال: فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير الناس^(١١).

أثر هذه الغزوة

كان لهذه الغزوة أثر في قذف الرعب في قلوب الأعراب القساة، وإذا نظرنا إلى تفاصيل السرايا بعد هذه الغزوة نرى أن هذه القبائل من غطفان لم تجترئ أن ترفع رأسها بعد هذه الغزوة، بل استكانت شيئاً فشيئاً حتى استسلمت، بل وأسلمت وبهذا تم كسر الأجنحة الثلاثة التي كانت ممثلة في الأحزاب وساد المنظمة الأمن والسلام، واستطاع المسلمون بعد ذلك أن يسدوا بسهولة كل خلل وثلمة حدثت في بعض المناطق من بعض القبائل، بل بعد هذه الغزوة بدأت التمهيدات لفتوح

^(١١) مصنف: - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٣٦) كِتَابُ الْمَغَازِي، وَمُسْلِمٌ (٨٤٣) كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ، وَأَحْمَدُ (١٤٥١٢).

البلدان والممالك الكبيرة؛ لأن داخل البلاد كانت الظروف قد تطورت لصالح الإسلام والمسلمين^(١).

عمرة القضاء

ولما هَلَ هلال شهر ذي القعدة سنة سبع من الهجرة أمر النبي ﷺ أصحابه أن يخرجوا لعمرة القضاء. وسميت بعمرة القضاء لأنها كانت عن عمرة الحديبية حينما رفض المشركون دخولهم . . أو لأنها وقعت حسب المقاضاة والمصالحة التي كانت في الحديبية. وأمر النبي ﷺ ألا يتخلف أي أحد من شهد الحديبية فخرجوا جميعاً إلا من استشهد . . وخرج معه أناسٌ آخرون حتى بلغ عددهم ألفين سوى النساء والصبيان.

وكان رسول الله ﷺ عند الدخول راكباً على ناقته

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤١٢).

القصواء، والمسلمون متوشحوا السيوف، محدقون برسول
الله ﷺ يلبون.

وفى عمرة القضاء، انساب المهاجرون فى دروب مكة
يستنشقون عبير أرض الذكريات الحلوة، ويتملون مراتع
الصبا والشباب فرحين مسرورين، وكانت بعض بيوتهم
خاوية لا حركة فيها، قد خيم عليها السكون فتبعث
الأسى فى النفوس، ولكنهم ألقوا عليها نظرات عابرة دون
أن تترك أثراً فى قلوبهم التى عمرها الإيمان بحب الله
ورسوله ﷺ .

النبى ﷺ يأمرهم بالجري الخفيف ليرى المشركون قوتهم

كان المسلمون المهاجرون وهم فى المدينة المنورة
يستشعرون شوقاً شديداً إلى مكة أم القرى، وكانت أعز
أمانيتهم أن يعودوا إليها، وأن يروا أقرباءهم وأن يروا ظمأهم
من ماء زمزم، وأن يطوفوا بالبيت العتيق، فإذا بآمالهم كلها

تتحقق، وما هم اليوم يطوفون بالبيت العتيق وهم بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ .

• وكان المشركون يزعمون أن الصحابة لم يعد عندهم قوة لأن حمى المدينة أضعفت أجسادهم . فلما دخل النبي ﷺ وأصحابه أمرهم أن يرملوا - أى يجروا جرياً خفيفاً - فى الأشواط الثلاثة الأولى حول الكعبة حتى يرى المشركون قوتهم ونشاطهم فامتلات قلوب المشركين حقداً على الصحابة .

النبي ﷺ يتزوج ميمونة

بنت الحارث بن عبد المطلب

وفى هذه العمرة تزوج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية، وكان رسول الله ﷺ قبل الدخول فى مكة بعث جعفر بن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس، فزوجها إياه، فلما خرج من مكة خلف أبى رافع ليحمل ميمونة إليه حين

يمشى فتزوجها بمكان اسمه (سرف).

المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يخرج من مكة

فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حويطب
ابن عبد العزى في نفر من قريش في اليوم الثالث،
وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من
مكة، فقالوا له: إنه قد اتقضى أجلك، فأخرج عنا،
فقال النبي ﷺ: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين
أظهركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه».

قال: لا حاجة لى فى طعامك، فأخرج عنا، فخرج
رسول الله ﷺ، وخلف أبا رافع مولاة على ميمونة،
حتى أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله ﷺ
هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذى
الحجة (١).

(١) أخرجه البخارى (٤٢٥٤) من لغارى معتق، وبن مشهور من سيرة
(٣/٣٧٢)

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأبي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُنكراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟

قالوا: وماذا رأيت؟

قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا، فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خيراً.

قالوا: إن هذا الرأي.

قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الجلد فجمعنا له جلدًا كثيرًا، ثم خرجنا

حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده .

قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني أجزاء عنها^(١)، حين قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك جلدًا كثيرًا... قال: ثم قرّبه إليه، فأعجبه واشتهاه .

ثم قلت له: أيها الملك، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشراقنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده،

(١) أجزاء عنها: كفتها .

فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه - أي خوفاً منه - ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك إياه...، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله!

قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟

قال: ويحك يا عمرو أتعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرون على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟

قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه ولم أخبر أصحابي بإسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله لقد ظهر الحق وإن الرجل لنبي، أذهب
والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا
لأسلم.

قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم
خالد بن الوليد، فأسلم، وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا
رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من
ذنبي، ولا أذكر ما تأخر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع، فإن
الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها»
قال: فبايعته ثم انصرفت^(١).



(١) رواه أحمد (٤/١٩٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن في
المتابعات والشواهد.

سرية مؤتة

كان سبب هذه السرية أن رسول الله ﷺ كان قد بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى ملك الروم في الشام فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه ثم قتله . . . وكان قتل السفراء والرسول الذين يرسلهم الملوك والرؤساء جريمة كبرى . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما وصله هذا الخبر فجهز جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل ليرسله إليهم .

تعيين القادة الثلاثة

وفي هذه السرية أمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وقال: «إن قُتل زيد فجعفر وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة» .

١١ صحح رواه البخاري (٤٢٦١) كتاب المغازي .

ومع أن النبي ﷺ كان لا يعين لأى سرية إلا قائداً واحداً إلا أنه فى هذه السرية أمر ثلاثة . . . وذلك لأهمية هذه السرية .

أهل المدينة يودعون الجيش

ولما تجهز الجيش وبدأوا فى الخروج للجهاد قام أهل المدينة يودعون الجيش ويدعون لهم بالنصر والتمكين والعودة بسلام .

المفاجأة الكبرى

لقد خرج الجيش المسلم . . . وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ويدعو لهم .

* ومضى الجيش فى طريقه حتى وصلوا إلى مكان فى أرض الشام يُسمى (معان) وهنا بدأوا فى جمع المعلومات عن الجيش الذى سيقابلوه .

وإذا بالمفاجأة الكبرى فى انتظارهم . . . فقد علموا أن الجيش قد بلغ مائتى ألف . . . فى حين أن عدد المسلمين

ثلاثة آلاف رجل .

فأصبحوا بين ثلاثة حلول: إما أن يرجعوا وإما أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل لهم مدداً من الرجال وإما أن يدخلوا فيقاتلوا . . . وظلوا لمدة يومين ينظرون في أمرهم .

فقام عبد الله بن رواحة وقال لهم هذه الكلمات التي كانت سبباً في ثباتهم: قال لهم: يا قوم والله إن الذي تكرمون لذي خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينيين: إما ظهور وإما شهادة .

* وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختلفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج .

* * *

وبدأ القتال

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير،
ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل...
معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا
هبَّت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حب رسول الله ﷺ -
وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا
في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاوم حتى
شاط في رماح القوم، وخرَّ صريعاً.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل
قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه
الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية
بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها
بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى قُتل.

يقال: إن روميًّا ضربه ضربة قطعته نصفين، وأتابه الله

بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمِّي بجعفر الطيار، وجعفر ذي الجناحين^(١).

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يُقبل على الجهاد ثم يتردد بعض الشيء... فجاءه ابن عمه بقطعة من اللحم وقال له: خذ هذه واشدد بها صُلبك فإنك لقيت ما لقيت في هذه الأيام من الشدة والمتاعب.

فأخذها عبد الله بن رواحة حتى نظر إلى نفسه وقال لها: وأنتِ ما زلتِ حية في الدنيا... ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فأخذ الراية ثابت بن أرقم وقال: يا أيها الناس

اصطلحوا على رجل منكم.

قالوا أنت.

(١) أخرجه البخاري (٣٧-٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين، وقد صح مراراً تحت الجناحين جعفر الطيار رضي الله عنه (٧٦/٧).

قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف^(١).

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أمدح الخسائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعياهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزوماً. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وأثر الانصراف بمن معه^(٢).



(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٥٩، ١٦٠): رواه الطبراني ورجالته ثقات.

(٢) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٤١٢).

النبي ﷺ ينعي القادة الثلاثة للناس

عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذر فان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»^(١).

أثر المعركة

وهذه المعركة وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إنها ألفت العرب كلها في الدهشة والحيرة، فقد كانت الرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض.

فكان لقاء هذا الجيش الصغير - ثلاثة آلاف مقاتل - مع ذلك الجيش الضخم العرمرم الكبير - مائتا ألف مقاتل

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) كتاب المغازي.

- ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة تذكر، كان كل ذلك من عجائب الدهر، وكان يؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير ما ألفته العرب وعرفته، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن أصحابهم، رسول الله حقًا، ولذلك ترى القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام.

حزن النبي ﷺ على جعفر

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء بنت عميس ليبلغها خبر استشهاد زوجها. . . ويا له من مشهد يجعل القلوب تبكي الدماء بدل الدموع.

عن أسماء ابنة عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت وعجنت عجيني، وغسلت بنيّ ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «اتنى بيني جعفر».

قالت: فأتيته بهم، فشمّتهم وذرفت عيناه، فقلت: يا

رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟

قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم».

قالت: فقامت أصبح، واجتمعت إلى النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله.

فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد سُفّلوا بأمر صاحبهم»^(١).



(١) رواه أحمد (٦/ ٣٧٠).

فتح مكة

انشغل المسلمون بعد صلح الحديبية بنشر الدعوة الإسلامية في أرض الجزيرة ولكن قريشاً ارتكبت حماقة شديدة. . . وذلك أنها اتفقت مع حلفائها من بني بكر على مهاجمة خزاعة التي هي مع المسلمين في حلف واحد فقاتلوهم وأصابوا منهم رجالاً.

ندم وأسف

وليس هناك من شك في أن انتصار قريش لحلفائها ودعمها لهم على حلفاء المسلمين، هو نقض صريح لبنود صلح الحديبية أدركت قريش أخطاره، وندمت على فعلها له، ولذلك فإنها بادرت إلى إرسال أبي سفيان إلى المدينة بهدف تجديد المعاهدة لكنه عاد خائباً، فقد فشل في الحصول على أي وعد بتجديد المعاهدة التي تضمنت بنود صلح الحديبية.

الاستعداد لفتح مكة

بدأت الاستعدادات لحشد القوة الإسلامية القصوى المستطاعة، وكان لا بد من أن يُعلم النبي ﷺ أصحابه بأنه سائر إلى مكة، ثم استنصر القبائل التي تقطن قرب المدينة: فمنهم من التحق بالجيش الإسلامي في المدينة، ومنهم من التحق بالمسلمين في الطريق إلى مكة، وقد ارتفعت معنويات المسلمين كثيراً، وبلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل.

ولقد التزم الجميع بالسرية التامة وحُجبت الأخبار تماماً عن قريش مما يعكس مدى الضبط والربط والالتزام الدقيق بأوامر القيادة والتقويم السليم للمصلحة الإسلامية العليا.

رسالة حاطب بن أبي بلتعة لأهل مكة

ولقد وقع في هذه الفترة حادثة عجيبة... وهي أن رجلاً من أهل بدر وهو حاطب بن أبي بلتعة تطوع

بإرسال كتاب إلى قريش ليخبرهم بأن النبي ﷺ سائر
إيهم بجيشه.

وقد كان المسلمون في غاية الحرص على إخفاء خطة
الغزو.

فعلم النبي ﷺ من خلال الوحي أن حاطب بن أبي
بلتعة أرسل هذه الرسالة مع امرأة مشركة... فأرسل
خلفها على بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد
وأخبرهم أنهم سيحذروها في مكان اسمه (روضه
خاخ)... فأنطلقوا فوجدوها وأخذوا منها الرسالة قبل أن
تصل إلى قريش.

فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»

فقام حاطب يعتذر لرسول الله ﷺ عن هذا الذي
فعله وأخبره أنه لم يفعل ذلك عداً للإسلام والمسلمين
وإنما أراد أن يفعل ذلك لتحصى قريش أقاربه الذين
يعيشون في مكة.

فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَيَّ
أَهْلَ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
عِزًّا وَجَلًّا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٤٩١).

النبي ﷺ يخرج لفتح مكة

وخرج النبي ﷺ سنة ثمان للهجرة لفتح مكة وكان
معه عشرة آلاف من جنود الإسلام من سائر القبائل
خرجوا معه جميعاً لفتح مكة حتى تصبح داراً للإسلام
كما أصبحت المدينة.



(١) سورة المتعة: الآية: (١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٨٣) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٩١) فضائل
الصحابة - واللفظ لمسلم -.

قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية

ومضى النبي ﷺ وأصحابه حتى نزل مرَّ الظَّهران،
ومعه عشرةُ آلاف، وعمىُّ اللهُ الأخبَّار عن قريش، فهم
على وجل وارتقاب، وكان أبو سفيان يخرج يتحسس
الأخبَّار؟ فخرج هو وحكيمُ بنُ حزام، وبديلُ بن ورقاء
يتحسسون الأخبَّار، وكان العباسُ قد خرج قبل ذلك بأهله
وعياله مسلماً مهاجراً، فلقى رسول الله ﷺ بالجحفة.
وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله ابن أبي أمية بن
المغيرة قد لقيَا رسول الله ﷺ في ثنية العقاب فيما بين
مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلَّمته أم سلمة
فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمك، وصهرك
فقال: (لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي، فهتك عرضي
وأما ابن عمي وصهرى، فهو الذي قال لي بمكة ما قال).
فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن

الحارث ابن له فقال: والله لياذن رسول الله ﷺ، أو
لأخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت
عطشاً أو جوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق
لهما.

قصة إسلام أبي سفيان

وهنا ذهب العباس عم النبي ﷺ إلى أبي سفيان
وقال له:

يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ والله لئن ظفرت بك
ليضربن عنقك.

فقال له أبو سفيان: وماذا أصنع؟

قال له العباس: اركب خلفي.. فركب خلفه وأخذه
العباس إلى النبي ﷺ فلما رآه عمر بن الخطاب قال: يا
رسول الله هذا أبو سفيان دعني أضرب عنقه.

فقال العباس: مهلاً يا عمر.. لو كان من قبيلتك ما
قلت هذا.

فقال عمر: مهلاً يا عباس لا تقل هذا.

فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب أبي لو أسلم، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إليّ رسول الله من إسلام الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: «يا عباس اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فائتنا به».

فذهبت به إلى الرحل، فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟».

فقال: بآبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوكم.

قال العباس: فقلت: ويلك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك. فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال العباس: فقلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً.

فقال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»^(١).

تواضع النبي ﷺ

ودخل النبي ﷺ مكة فاتحاً متصراً حائياً رأسه لله (جل وعلا) حتى كادت خيته أن تلامس دابته التي يركبها وهو يُسبح ويذكر الله ويشكره ويقرأ سورة الفتح.
دخل النبي ﷺ المسجد الحرام وطاف بالكعبة المشرفة.

فصرخ سعد بن عبادة وهو يقول: اليوم يوم الملحمة
اليوم تُستحل الكعبة.

فقال النبي ﷺ: «... هذا يومٌ يعظم الله فيه الكعبة»^(٢).



(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٨٠) كتاب المغازي.

النبي ﷺ يظهر المسجد الحرام من الأصنام

وسكنت مكة واستسلم سادتها وأتباعها، وعلت كلمة
الله في جنباتها، ثم نهض رسول الله إلى البيت العتيق
فطوّف به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله، ويضربها
بقوسه ظهراً لبطن، فتقع على الأرض مهشمة متناثرة.
كانت هذه الحجارة - قبل ساعة - آلهة مقدّسة وهي
- الآن - تراب وأنقاض! يهدمها نبي التوحيد وهو يقول:
﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (١)(٢).



(١) سورة الإسراء: الآية (٨١).

(٢) فقه السيرة للقرطبي (ص: ٤٢٦).

النبي ﷺ يصلي داخل الكعبة... ويعضو عن قريش

ودخل النبي ﷺ الكعبة بعد أن طلب من عثمان بن طلحة أن يفتحها فدخل النبي ﷺ وصلى فيها ومكث فيها وقتاً طويلاً.

ثم خرج النبي ﷺ ونظر إلى كفار قريش وقال لهم: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟».

قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.

قال: «فاني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تريب عليكم اليوم﴾^(١) اذهبوا فأنتم الطلقاء».



(١) سورة يوسف: الآية (٩٢).

اليوم يوم بر ووفاء

ثم جلس في المسجد فقام إليه عليٌّ بن أبي طالب، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله! اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدُعي له.

فقال له: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء».

بلال يؤذن فوق الكعبة

وأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن فوق الكعبة، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، وأشرف قريش جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه.

فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حق لا تبعته.

فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئاً، لو تكلمت،

لاخبرت عنى هذه الحصباء .

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم: «قد علمت الذى

قلتم» ثم ذكر ذلك لهم .

فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما

اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرك^(١) .

إسلام والد أبى بكر الصديق رضي الله عنه

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه

أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يُمسك بيده فلما رآه رسول الله ﷺ قال:

«هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه» .

قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من

أن تمشى أنت إليه .

قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له:

«أسلم»، فأسلم^(٢) .

(١) زاد تعداد (٣-٩-٤-٤١) .

(٢) روى أحمد (٦/٣٤٦) رقم: (٢٧-١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده

أخذ البيعة

ولما فتح الله على رسول الله ﷺ وأصحابه ﺯﻭﺟﺮﻩ (مكة) علم أهل مكة أنهم كانوا على الباطل وأن النبي ﷺ ما جاءهم إلا بالحق فقاموا ليعلموا التوحيد لله (عز وجل) في مشهد مهيب يعجز القلم عن وصفه.

السرايا والبعوث

وبث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة. فكُسرَتْ كلها. . . منها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

ونادى مناديه بمكة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره».



غزوة حنين

لقد دخل أكثر أهل مكة في الإسلام بعد الفتح وإن كان بعضهم بقي على جاهليته يتعلق بالأصنام. ومع أن فتح مكة جعل العرب يعرفون قدر المسلمين وقوتهم إلا أن فتح مكة كان له رد فعل مُعاكس مع بعض القبائل الكبيرة القريبة من مكة . . . وفي مقدمتها (هوازن وثقيف) وهي أكبر المدن في الجزيرة بعد مكة ويثرب. اجتمع رؤساء هذه القبائل على (مالك بن عوف) سيد هوازن وأجمعوا أمرهم على المسير لقتال المسلمين قبل أن يتحرك المسلمون لقتالهم.



خروج المشركين للغزوة

واجتمعت قبيلة هوازن مع ثقيف وغيرها من القبائل الصغيرة التي حولها وجعلوا القيادة لمالك بن عوف، فلما أجمع المسير لقتال رسول الله ﷺ أخذ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم حتى لا يفر أحدٌ منهم. وفي الطريق اجتمع إليه الناس وفيهم (دريد بن الصَّمَّة) فلما علم أن مالك بن عوف قد أخذ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم نصحه أن يردهم ولا يفعل ذلك.

فقال مالك: لقد أخذتهم حتى لا يفر رجلٌ منهم وهو يعلم أن خلفه أبناءه ونساءه.

فقال دريد: وهل يرد المنهزم شيء؟ وظل دريد ينصحه بأن يرد النساء والأولاد فلم يستجب مالك للنصيحة.



وانزل جنوداً لم تروها

وبدا مالك يُحسس جيشه ويأمرهم بأن يضربوا المسلمين ضربة رجلٍ واحد ثم بعث مالك بعض الجواسيس والعيون ليعرفوا أخبار النبي ﷺ وأصحابه. فذهبوا ليعرفوا الأخبار وعادوا وهم في غاية الدهشة.

فقال لهم مالك: ما شأنكم؟

قالوا: رأينا رجالاً بيضاً يركبون الخيل. . . ولا نستطيع

أن نصف لك كثرتهم ولا قوتهم.

ولم يعلموا أن الرجال الذين رأتهم العيون هم الملائكة، إذ قال تعالى: ﴿وانزل جنوداً لم تروها﴾^(١) أي لم يرها أصحاب رسول الله ﷺ وهم يحضرون المعركة.



(١) سورة التوبة: الآية (٢٦).

النبي ﷺ يرسل إليهم (عبد الله بن أبي حدرد)

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ ، بعث إليهم عبد الله بن
أبي حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم
فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن
أبي حدرد ، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له
من حرب رسول الله ﷺ . وسمع من مالك وأمر
هوآزن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ
فأخبره الخبر .



النبى ﷺ يستعير الدروع من صفوان بن أمية

فلما أجمع رسولُ الله ﷺ السير إلى هوازن، ذُكِرَ له أن عند صفوان بن أمية أدرعًا وسلاحًا، فأرسل إليه، وهو يومئذٍ مشرك، فقال: يا أبا أمية! أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدًا.

فقال صفوان: أغصبًا يا محمد؟

قال: «بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك»^(١).

فقال: ليس بهذا بأس.

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح^(٢).



(١) أخرجه الحاكم (٤٨/٣)، والبيهقي (٨٩/٦) بإسناد صحيح.

(٢) زاد المعاد (٤٦٨/٣).

الجيش الإسلامي يتحرك

كان جيش الفتح في مكة مستعداً إذ لم يلق مقاومة تُذكر في فتح مكة، كما أن إقامته في مكة بعد الفتح مدة خمسة عشر يوماً قد منحته الكثير من الراحة واستعادة النشاط، إضافة إلى ما تحقق له من ارتفاع في الروح المعنوية بما منحه الله من نصر، ولذلك فإنه كان مهيباً لمواجهة عدوان المشركين، وقد تحرك جيش المسلمين بناء على أمر قائده النبي ﷺ في اليوم الخامس من شوال سنة ٨ هـ ميمماً نحو تجمعات المشركين في حنين، وقد ثبت مشاركة أبناء مكة في غزوة حنين في صفوف المسلمين، فقد شارك ألفاً مقاتل من أهل مكة، فبلغ عدد قوات الجيش الإسلامي اثني عشر ألف مقاتل، وهو أكبر جيش للمسلمين يخرج للقتال في حياة النبي ﷺ حتى هذه الغزوة... وكان النبي ﷺ حريصاً على تأمين قواته لذلك فقد اهتم بحراسة الجيش ومراقبة تحركات العدو.

النبي ﷺ يبشرهم بغنائم حنين

« عن سهيل بن الحنظلية رضي عنه: «أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين. حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن ومعهم خيلهم وأغنامهم وإبلهم... اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»^(١).



(١) صحيح: رواه أبو ذر (١-٢٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٨).

مفاجأة لم تخطر على بالهم

إن السهولة التي تم بها فتح مكة وإحساس المسلمين أن المشركين قد ضعفت شوكتهم فلن يستطيعوا مقاومة المسلمين بعد ذلك جعلتهم يدخلون غزوة حنين وهم على يقين من أنهم سينتصرون عليهم... وبخاصة أن عدد المسلمين كان كبيراً.

* وصر الجيـش حتى وصل إلى وادي حنين.

وكان مالك بن عوف ورجاله قد سبقوا إلى الوادي واحتلوا الأماكن المنبعا والهامة في ذلك الوادي ثم تهيئوا لاستقبال المسلمين.

* وأقبل المسلمون وهم لا يدرون ماذا ينتظرهم.

فلما دخل المسلمون في دروب الوادي فوجئوا بوابل من السهام تساقط من الأماكن العالية فوق رؤوسهم. وانتشر الفزع بين صفوف المسلمين... وبدأ المسلمون يستديرون ثم يولون الأدبار.

واستغل مالك بن عوف ورجاله هذا الفرع الذي دبَّ
في صفوف المسلمين وهاجموهم فانهزم المسلمون في
بداية الأمر.

وانحاز النبي ﷺ ذات اليمين . وبدأ ينادى على
أصحابه ويقول: «إلى أيها الناس هلمَّ إليَّ أنا رسول الله أنا
محمد بن عبد الله»^(١) فلم يُجبه أحد.

إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين
والأنصار وأهل بيته غير كثير، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو
بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن
عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان ابن
الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم
أيمن، وأسامة بن زيد.



(١) رواه أحمد (٣/٣٧٦ رقم: ٦٩ - ١٥) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده
حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق فهو صدوق حسن
الحديث.

أين أصحاب السمرة؟

ووقف النبي ﷺ يفكر ما الذي ينبغي أن يفعله
ليُنقذ سمعة الإسلام ومستقبله. . فأمر عمه العباس ابن
عبد المطلب بأن ينادى على أصحاب السمرة (وهي
الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان) فقام العباس
ينادى بأعلى صوته (وكان صوته قويا): أين أصحاب
السمرة؟ فسمعه المسلمون فعادوا إلى الجهاد مرة أخرى
وأخذوا يقاتلون قتالا شديداً.

* ثم أخذ النبي ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه
الكفار وهو يقول: «انهزموا ورب محمد»^(١).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٥) كتاب الجهاد والسير.

اللهم أنزل نصرك

وكعادة النبي ﷺ في كل غزواته فلقد أخذ يدعو ويدعو ويلجأ إلى الله (عز وجل) لينصره ومن معه من المؤمنين لأنه يعلم أن النصر لا يأتي إلا من عند الله (عز وجل).

• ونزل النبي ﷺ ودعا وطلب النصر من الله وهو يقول:

أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزل نصرك ^(١).

- فأنزل الله نصره على الموحدين بعدما أخذوا درساً كبيراً في أن النصر ليس بالعدد ولا بالقوة وإنما النصر من عند الله وحده ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ^(٢).

وهكذا لم تصمد قوات المشركين طويلاً في الجولة

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٢٦).

الثانية حين صدق المسلمون ما عاهدوا الله عليه، وأجرى الله تعالى على يد نبيه المعجزة الواضحة، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)﴾.

انهارت قوى الشرك، وفرت من ميدان المعركة بشكل غير منظم مُخَلِّفَةً وراءها أعداداً كثيرة من القتلى وكمية كبيرة من الغنائم، كما خلفت شرادم من قواتها تمكن المسلمون من القضاء عليهم بسهولة، وأمر النبي ﷺ بتعقب المشركين المهزومين وقتلهم حتى يمنع إمكانية تجمعهم ثانية واحتمال عودتهم إلى القتال فكانت خسائر المشركين في القتلى خلال هزيمتهم أعظم من خسارتهم خلال المعركة. وقد نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، كما نهى عن قتل

(١) سورة التوبة: الأياتان (٢٦، ٢٧).

الأولاد والذراري حين بلغه أن بعضهم قد قُتل خلال
المعركة»^(١).

من قتل كافراً فله سلبه

وكان النبي ﷺ يشجع أصحابه على أن يقتلوا أكبر
عدد من المشركين فجعل لكل من يقتل كافراً الحق في أن
يأخذ كل ما معه من متعلقات.

عن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله ﷺ يومئذ يعني
يوم حنين: «من قتل كافراً، فله سلبه»، فقتل أبو طلحة
يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم»^(٢).



(١) نضرة النعيم (١/٣٧٨ ، ٣٧٩) بتصريف.

(٢) رواه أبو دواد (٢٧١٨) كتاب الجهاد والدارمى والحاكم (٣/٣٥٣) وصححه
ووافقه الذهبي.

الغنائم

وكان سبي حنين كثيراً، فقد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء أما الغنائم فقد بلغت أربعة آلاف أوقية فضة أما الإبل فكانت أربعة وعشرين ألفاً أما الأغنام فكانت أكثر من أربعين ألف شاة وقد حبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجعرانة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف.



غزوة الطائف

تجمعت قوات المسلمين فى أعقاب النصر المظفر الذى كتبه الله لهم فى معركة حنين، وتوجهوا بقيادة النبى ﷺ إلى الطائف بهدف القضاء على قوات ثقيف التى فرت من حنين، وكانت ثقيف بقيادة مالك بن عوف قد لجأت إلى حصونها المنيعة فى الطائف وجمعت ما يكفيتها من المؤن الغذائية لعام كامل، وأغلقت أبوابها واتخذت كافة الإجراءات والاستعدادات التى تمكنها من مواجهة حصار طويل وواصلت ترميم الحصون وتدعيمها إلى حين وصول طلائع المسلمين المتجهة نحوهم^(١).



(١) السيرة لابن هشام (٤/ ١٧٠-١٧١).

الأحداث التي كانت في الطائف

وصل الجيش الإسلامي إلى الطائف في حدود نهاية الأسبوع الثالث من شهر شوال، فباشروا إحكام الحصار حول حصون العدو مدة أسبوعين، وكان نزولهم أول الأمر قريباً من حصون العدو وعلى مرمى سهامهم مما أدى إلى سقوط عدد من الشهداء وجرح عدد آخر منهم، ثم تحول المسلمون وعسكروا في الموضع الذي بُني فيه المسجد^(١)، وكان القتال تراشقاً بالسهام في أول الأمر، ثم استخدم المسلمون «الدبابة» بهدف الوصول إلى الأسوار وثقبها آميناً من السهام، ولكن ثقيفاً فطنت للأمر فألقت عليهم قطع حديد مُحماة أحرقت الدبابة وحين خرج المقاتلون المسلمون منها، ضربوهم بالسهام فقتلوا بعضهم.. واستخدم المسلمون المنجنيق لرمى التحصينات بالحجارة بهدف هدمها وإيقاع إصابات في قوات العدو في الوقت

(١) مسلم - الصحيح (٢/٧٣٦)، أحمد - المسند (٣/١٥٧).

نفسه، غير أن قلة هذه الآلات وعدم وجود خبراء في استعمالها وإجادة التهديف بها جعل أثرها محدوداً^(١).
 لذلك فقد وجد النبي ﷺ أن أفضل وسيلة للضغط على ثقيف هي في تهديد مواردها الاقتصادية الحيوية المتمثلة في بساتينها، فأمر ﷺ بتحريق بساتين الأعناب والنخيل في ضواحي الطائف، مما كان له أثره الكبير في كسر معنوياتهم، فناشدوا النبي ﷺ أن يتركها فاستجاب لهم النبي ﷺ بعد أن تحقق الهدف المنشود^{(٢)(٣)}.



(١) ابن هشام - السيرة (٤٧٨/٢ - ٤٨٣) برواية ابن إسحاق.

(٢) البيهقي - السنن الكبرى (٨٤/٩)، الشافعي - كتاب الام (٣٢٣/٧).

(٣) نظرة التعميم (٣٨١/١).

من بلغ بسهم فله درجة في الجنة

عن أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ بسهم فله درجة في الجنة». فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً^(١).

النبي ﷺ يعتق كل من نزل من الحصن

ونادي منادى النبي ﷺ عبيد الطائف قائلاً: «أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر»، فنزل إليهم ثلاثة وعشرون عبداً، منهم أبو بكر نقيع بن الحارث الثقفي، فأسلموا، فأعتقهم النبي ﷺ، ولم يُعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم، غير أن كل ذلك لم يؤثر كثيراً في عناد ثقيف التي صمدت بوجه الحصار، ورغم ما واجهته من

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٤٣) كتاب الجهاد، وضححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٨٤).

وأبل السهام التي أمطرها بها المسلمون لينالوا بها درجة من الجنة وعدهم بها رسول الله ﷺ ، وقد تمكنت ثقيف من إيقاع إصابات شديدة بالمسلمين فقد كثرت الجراحات بينهم واستشهد منهم اثنا عشر شهيداً، وكل ذلك مقابل ثلاثة قتلى في صفوف ثقيف التي كانت ممتعة بالحصون والأسوار العالية (١) (٢) .

النبى ﷺ يدعو لهم بالهداية

وهنا جاء بعض الصحابة للنبي ﷺ وقالوا له: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال النبي ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً».

ولما طال الحصار واستعصى على المسلمين ذلك الحصن أخذ النبي ﷺ أصحابه ورحلوا عنهم وتركوهم.



(١) البخارى - الصحيح (٨/ ٢٠) - ابن هشام - السيرة (٢/ ٤٨٦ - ٤٨٧).

(٢) قصرة النعيم (١/ ٣٨١).

تقسيم الغنائم

ولما عاد رسول الله ﷺ بعد رفع الحصار عن الضائف؛ مكث بالجعرانة بضع عشر ليلة لا يقسم الغنائم، ويتأني بها يبتغى أن يقدم عليه وقد هوأزن تائبين، فيحرزوا ما فقدوا، ولكنه لم يجئه أحد فبدأ بقسمة المال، لئسكت المتطلعين من رؤساء القبائل وأشراف مكة، فكان المؤلففة قلوبهم أول من أعطى وحظى بالأنصبة الجزلة (١).

عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم، مائة من الإبل».



(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٥٦).

موقف مؤثر بين النبي ﷺ والأنصار

وجاءت لحظة مؤثرة في حياة رسول الله ﷺ والأنصار، فإن النبي ﷺ أراد أن يعطى لأهل مكة من الذين أسلموا يوم الفتح بعض المكاسب والغنائم؛ حتى يصلح قلوبهم، ويحبوا الله ورسوله والمسلمين، فلما رأى الأنصار هذا حزنوا في أنفسهم، وقالوا:
وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَهُ؛ فَأَعْطَاهُمْ.

فلما سمع رسول الله هذا؛ جمَعَ الأنصار في مكان واحد، ثم وقف فيهم خطيباً يقول:

«يا معشر الأنصار، ما هذا الذي بَلَّغَنِي عَنْكُمْ؟
لو سِئْتُمْ لَقُتِلْتُمْ جِئْتَنَا خَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْبَنَّاكَ،
وَمَخْذُولًا فَتَصَرَّنَاكَ».

قالوا: بل لله المنُّ والفضلُ علينا ورسوله.

فقال ﷺ: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلَّالًا فهداكم
الله بي؟ ألم أجدكم مُتفرِّقين فألفكُم اللهُ بي؟ وعالةٌ (١) فأغناكُم

(١) فقراء.

الله بي؟».

ثم قال ﷺ: «أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون أنتم برسول الله، والله لو سلك الناس طريقًا وسلك الأنصار طريقًا لسلكت طريق الأنصار، ولولا الهجرة لكنت من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

فبكى الأنصار حتى ابتلت لحاهم، وقالوا:
رضينا برسول الله حفظًا وقسمًا ونصيبيًا^(١).



(١) صحيح: رواه أحمد (٣/٧٦ رقم: ١١٧٤٨)، وصححه العلامة الألباني في فقه السيرة (١/٣٩٧).

قدوم وفد هوازن

وبعد قسمة الغنائم قَدِم وفد من هوازن يعلن إسلامهم
ويلتمس من رسول الله ﷺ رد أموالهم وذرائعهم
عليهم، فخيرهم بين الأموال والسبي فاختاروا السبي،
فجمع النبي ﷺ المسلمين وخطب فيهم، وقال إنه يريد
أن يرد السبي لهوازن. . فردوا إليهم نساءهم وأبناءهم.

كان إسلام (هوازن) نصراً

ولقد كان إسلام هوازن نصراً آخر كتبه الله للمسلمين
سُرَّ به النبي ﷺ فسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف
ووعدهم برد أهلهم وأموالهم عليه وبإكرامه بمائة من الإبل إن
قَدِم عليه مسلماً، فأسلم وحسن إسلامه وقاتل المشركين
في الطائف وضيق عليهم، وقد أسلم بعد ذلك بعض
زعماء ثقيف أمثال عروة بن مسعود الثقفي الذي لحق
بالنبي ﷺ في طريق المدينة فأسلم على يديه وعاد إلى

الطائف يدعو إلى الإسلام، ويؤذن من على سطح منزله فرماه بعض المشركين فأصابه، ودُفن بناء على وصيته مع شهداء المسلمين أثناء حصار الطائف^(١).

أما غالبية قبيلة ثقيف فقد تأخر إسلامهم إلى ما بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك وسنعرض لذلك في حينه إن شاء الله^(٢).



(١) البداية والنهاية (٢٩/٥).

(٢) نقرة النعيم (٣٨٤/١).

غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة وكانت في وقت عُسرة من الناس وجذب في البلاد... وبدأت الثمار تطيب في هذا الوقت فكان الناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الخروج للغزو في هذا الوقت لأنه كان وقت جنى الثمار.

* وكانت الأخبار قد وصلت إلى النبي ﷺ أن الرومان قد قامت بإعداد جيشها للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين.

* وعاش المسلمون لحظات عصيبة فقد كانوا لا يسمعون صوتاً غير معتاد إلا ويظنون أنه زحف الرومان نحو المدينة المنورة... وهذا يدل على خطورة الموقف الذي كان يواجهه المسلمون بالنسبة إلى الرومان.

* ولذلك أمر النبي ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الرومان في ديارهم قبل أن يأتوا إلى المدينة المنورة.

تجهيز جيش العسرة

ولقد دعا النبي ﷺ أصحابه إلى الإنفاق على هذه الغزوة نظراً لكثرة المشاركين فيها، وبعد المسافة التي كان على الجيش أن يقطعها، ووعدهم بعظم الأجر من الله سبحانه وتعالى فسارع أغلب الصحابة إلى المشاركة في توفير الأموال المطلوبة كلٌّ حسب مقدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين على جيش العسرة استجابة لقول النبي ﷺ: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» وتواترت الأخبار الصحيحة بأن عثمان بن عفان قد تحمل نفقات جيش العسرة، فلقد سارع بتقديم ألف دينار في بداية الاستعدادات صبّها في حجر النبي ﷺ كما قدم أموالاً أخرى تتمثل في الجمال والعُدَد التي يحتاج إليها في نقل الجيش والحرب حتى قال النبي ﷺ: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»^(١).

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٧٠١) كتاب المناقب، وحسن العلامة في صحيح الترمذى.

• وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة،
وجاء أبو بكر بماله كله ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله،
وكانت أربعة آلاف درهم، وهو أول من جاء بصدقته،
وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء
طلحة وسعد بن عباد ومحمد بن مسلمة، كلهم جاؤوا
بمال، وجاء عاصم بن عدى بتسعين وسقاً من التمر،
وتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم
من أنفق مئداً أو مدين لم يكن يستطيع غيرها؛ وبعثت
النساء ما قدرن عليه من الذهب ولم يمسك أحد يده،
ولم يخل بماله إلا المنافقون.

• ومنهم من لم يستطع أن يتصدق إلا بنصف صاع
فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا الرجل فنزل
قول الله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

(١) سورة التوبة: الآية: (٧٩).

« ومنهم من قال: اللهم إنك أمرتنا أن نتصدق وإنى لا أجد ما أتصدق به غير أنى أتصدق على كل من شتمنى أو سببى أو آذانى فقد سامحته ابتغاء وجهك .

أعداء المنافقين

وظهر النفاق فى هذه الغزوة بشكل لا يخطر على قلب بشر .

فقد قال بعض المنافقين لبعضهم: لا تنفروا فى الحر ،
فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿ (٨١) .

وذلك أن الخروج فى غزوة تبوك كان فى شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا: ﴿ لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قُلْ لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ التى تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ مما فررتم

(١) سورة التوبة: الأيتان: (٨١-٨٢) .

منه من الحر بل ﴿أشدَّ حرًا﴾ من النار .
 ومنهم من اعتذر عن الخروج للجهاد لأنه يخشى
 على نفسه من فتنة نساء الروم ومنهم من اعتذر بأعذارٍ
 واهية أخرى حتى لا يخرج مع النبي ﷺ .
 لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة
 للتمييز بين المؤمنين والمنافقين ، وضحت فيها الحواجز بين
 الطرفين ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو
 مجاملتهم بل أصبحت مجابتهم أمراً ملجأً بعد أن عملوا
 كل ما في وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة ، وتبسيط
 المسلمين عن الاستجابة للنفي الذي أعلنه الله تعالى
 والرسول ﷺ والذي نزل به القرآن الكريم ، بل أصبح
 الكشف عن نفاق المنافقين ، وإيقافهم عند حدهم واجباً
 شرعياً (١) .



(١) نضرة النعيم (١/٣٨٩) .

البكاءون

وفي المقابل جاء مجموعة من الفقراء الصادقين الذين لا يملكون مالا ولا دابة يركبون عليها للجهاد... جاءوا إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يحملهم معه فاعتذر النبي ﷺ قائلا: «والله لا أجد ما أحملكم عليه» (١).

فما كان منهم إلا أن عادوا وهم يبكون فقد كانوا يشتبهون الجهاد مع رسول الله ﷺ.

فلما رأى الله (عز وجل) حرصهم على محبته ومحبة رسوله ﷺ أنزل الله عذرهم في كتابه فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٢).

(١) **متفق عليه** رواه البخاري (٦٦٤٩) كتاب الإيمان والدور، ومسلم (١٦٤٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة التوبة: الآيات: (٩١، ٩٢).

وهم ولا شك الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله وهو عائد من تبوك: «لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً ولا سلكنم طريقاً إلا أشركوكم في الأجر حبسهم المرض» (١١).

الجيش الإسلامي يتحرك إلى تبوك

ولما تجهز الجيش الإسلامي استعمل النبي ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة وخرج النبي ﷺ بهذا الجيش الكبير الذي بلغ ثلاثين ألفاً من الناس وبلغت الخيول عشرة آلاف فرس.

• ولما سار النبي ﷺ تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ومن كان معه من المنافقين.

• وتخلف بعض الصحابة الأفاضل الذين لم يتخلفوا

(١١) رواه أحمد (٣/٣٠)، ومسلم (٥٧/١٣) الإمامة، وقال النووي: وفي هذا الحديث نصبه لنية من الخير، وأد من لوى الغزو وغيره من الطاهات فعرض له عدل منعه حصل له ثواب نيته وأنه كلما أكثر من التأسف على قوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه والله أعلم - النووي على صحيح مسلم (٥٧/١٣)

عن شكٍّ ولا ارتياب ولا نفاق... منهم: كعب بن مالك
وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.
«وتخلف أيضاً: أبو خيثمة وأبو ذر لكنهما لحقا بالنبي
ﷺ بعد ذلك وشهدا غزوة تبوك».

ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟

ولما أراد النبي ﷺ الخروج خلتف على بن أبي
طالب على أهله.
فقال المنافقون: والله ما تركه النبي إلا استثقلاً وتخففاً
منه فأخذ (علي) سلاحه وخرج إلى النبي ﷺ وقال
له: يا رسول الله ﷺ أتخلفني في النساء والصبيان.
فقال: «أما ترضى أن تكوني مني بمنزلة هارون من موسى،
غير أنه لا نبي بعدي»^(١).



(١) مسند عليه: رواه البخاري (٤٤١٦) كتاب المغاري - ومسلم (٤/ ٢٤) كتاب
فضائل الصحابة.

مرورهم على ديار ثمود

وفى الطريق مرّ النبي ﷺ وأصحابه على ديار ثمود قوم صالح الذين هلكوا لما خالفوا أمر نبيهم صالح (عليه السلام).

فلما نزلوا أرض ثمود قام الصحابة بإحضار الماء من البئر وعجنوا به ليأكلوا فأمرهم النبي ﷺ أن يسكبوا الماء وأن يعلقوا الإبل بذلك العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تشرب منها الناقة.

ثم قال للصحابة: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم»^(١).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٨١) كتاب احاديث الانبياء، ومسلم (٢٩٨٠) كتاب الزهد والرفق.

النبى ﷺ يدعو... والسمااء تمطر باذن الله

وفى الطريق عطش الصحابة عطشاً شديداً حتى ظنوا أن رقابهم ستتقطع من شدة العطش.. حتى إن أحدهم من شدة العطش كان يذبح بعيره ويعصر فرثه ليشربه ويجعل ما بقى على كبده.

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: يا رسول الله! إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيراً فادع الله لنا.

قال: «أحب ذلك؟».

قال: نعم.

فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أمطرت السماء فملاوا ما معهم وشربوا.. ثم نظروا إلى المكان الذى نزل فيه المطر فوجدوا أن المطر لم يجاوز المكان الذى كانوا فيه.

*** وهنا قال أحد المنافقين مُنكراً هذه المعجزة:** سحابة

مارة.

أى أنه يريد أن يقول أن دعاء النبى ﷺ لم يكن سبباً فى نزول المطر بل إن السحابة كانت تمر مصادفة أثناء الدعاء فأمطرت .

* وفى الحقيقة أن هذه الغزوة كانت غزوة العسرة فعلاً فقد كانت عُسرة فى قلة الدواب التى يركبونها فقد كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير واحد يركبه كل واحد منهم مسافة ثم يعطيه لأخيه . . .

وكانت عُسرة فى الطعام والماء فقد كان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير وكان النفر يخرجون وليس معهم إلا بعض التمرات فإذا بلغ الجوع من أحدهم مبلغاً عظيماً أخذ ثمرة ووضعها فى فمه حتى يجد طعمها ثم يعطيها لأخيه ليمصها . . . وهكذا عاش هؤلاء الصحابة على الصدق والصبر واليقين .



الماء ينهمر من عين تبوك

وفي الطريق قال لهم النبي ﷺ: «إنكم ستأتون غدًا عين تبوك فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى أتى». فلما وصلوا إلى عين تبوك وجدوا ماءها قليلاً لا يكتفى أحداً.

فأمرهم النبي ﷺ أن يغرفوا بأيديهم بعض الماء وأن يأتوا إليه بذلك الماء فغرفوا الماء في إناء وجاءوا به إلى النبي ﷺ فغسل فيه يديه ووجهه ثم أعاده في عين تبوك فانهمرت العين بالماء حتى استقى الناس جميعاً^(١).

كُنْ أبا خيثمة

ثم إن أبا خيثمة الذي كان قد تخلف عن رسول الله ﷺ لعدة أيام دخل يوماً على زوجته فوجدتهما في عريشين لهما في بستانه قد رشّت كل واحدة منهما عريشها

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٠٦) كتاب الفضائل.

وبردت له الماء. وهيأت له الطعام.. فلما دخل قام على باب العريش ونظر إلى امرأته وقال: رسول الله في الشمس والحر والريح وأنا أجلس في الظل البارد والطعام.. والله لا يكون ذلك أبداً.. والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألق برسول الله ﷺ.. فهيناً له زاداً وأحضراً له دابته فركبها ورحل خلف النبي ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك.

قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل.

فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»^(١).

قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو خَيْثَمَةَ.

فلما أناخ أقبل. فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خَيْثَمَةَ»، فأخبر رسول الله ﷺ خيره.

فقال له رسول الله ﷺ: خيراً ودعا له بخير^(٢).

(١) صحيح. رواه مسلم (٢٧٦٩) كتاب التوبة.

(٢) زاد المعاد (٣/٥٣٦).

رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان.

فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم. وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»؛ وتلوّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً.

ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا لرجل يمشى على الطريق وحده.

فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر».

فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر.

فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشى وحده ويموت وحده، ويُبعث وحده»^(١).

المصالحة وإعطاء الجزية

نزل الجيش الإسلامي بتيوك فعسكر هناك وهو مستعد للقاء العدو.

وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء.

بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم فكان لذلك أحسن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها النائية.

وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين.

(١) أخرجه الحاكم (٣/٥٢، رقم ٤٣٧٣) وقال: صحيح الإسناد، وابن عساکر (٢١٦/١٦).

* وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وصالحوه وأعطوه
الجزية وأعطاهم النبي ﷺ العهد والأمان على أنفسهم
وأولادهم وأموالهم.

* ولا عجب في هذا الرعب الذي حدث للروم قبل
أن يروا النبي ﷺ فقد قال عليّ عليه السلام: «.. ونُصرت على
العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهرٍ لملئ مني
رعباً» (١).

* وأقام النبي ﷺ بتبوك عشرين يوماً.



(١) مشق عليه: رواه البخاري (٣٣٥) كتاب التيمم، ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد
ومواضع الصلاة بلفظ: «... ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر».

عاقبة الاستهزاء

بدين الله (عز وجل) وبرسوله ﷺ

وفى غزوة تبوك تأخر بعض المنافقين خلف النبي ﷺ وأخذوا يسخرون من النبي ﷺ وأصحابه حتى قالوا عنهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطوثنا ولا أكذب السنة ولا أجين عند اللقاء.

فجاء جبريل (عليه السلام) وأخبر النبي ﷺ بما قالوا.. فدعاهم النبي ﷺ وأخبرهم بما قالوا.. فاعتذروا للنبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال لهم ﷺ: ﴿أبِاللَّهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١١﴾.



(١) سورة التوبة: الآيتان: (٦٥-٦٦).

محاولة اغتيال النبي ﷺ

وحاول جماعة من المنافقين المشاركين في الجيش وهم
ملثمون حتى لا يُعرفوا أن ينفروا بدابة النبي ﷺ
لتطرحه من رأس عقبة في الطريق مع عتمة الليل، فعلم
بمؤامرتهم وفتن لهم وأمر بإبعادهم بعد أن عصمه الله
تعالى من أذاهم.

النبي ﷺ يخبر حذيفة بأسماء المنافقين

وجاء جبريل (عليه السلام) إلى النبي ﷺ ليخبره
بأسماء المنافقين فقام النبي ﷺ ودعا حذيفة بن اليمان
فأسر له بأسماء المنافقين.. فعلم حذيفة كل أسماء
المنافقين وكان صاحب سر رسول الله ﷺ.



استقبال حافل

ولما أشرف النبي ﷺ على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»^(١).

ولما اقترب الجيش الإسلامي من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع لاستقباله، ومعهم النساء والولائد وهم يرددون^(٢):

طلع البدر علينا

من ثنيتات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع

كان أول ما فعله النبي ﷺ عند دخول المدينة أن صلى في مسجده الشريف ركعتين، ثم جلس للناس فجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٢٢) كتاب المغازي، ومسلم (١٣٩٢) كتاب الحج.

(٢) أورده ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح الحديثين (٤٤٢٦) - (٤٤٢٧).

الأعداء فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى^(١).

موقف النبي ﷺ من المنافقين

وقد أصبح الموقف جدياً من المنافقين بعد الرجوع من غزوة تبوك، فقد امتنع النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار الذي كانوا بنوه قبل الغزوة وأمر بتحريقه^(٢)، كما امتنع عن الصلاة على أمواتهم فقد منعه الله من ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣).

وقد نهى الله تعالى عن قبول أعداء المنافقين، فقال في محكم التنزيل: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ آخِبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ لَمْ يَرْدُونَ

(١) صحيح: رواه البخاري - الصحيح (فتح الباري - الحديث ٤٤١٨)، ومسلم

(٢/٤) حديث (٢٧٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١١/٢٣-٢٤).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٨٤).

إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿١١﴾ .

وقد أمر الله تعالى بعدم تصديقهم وبالاعراض عنهم
ووصفهم بأنهم رجس فقال تعالى: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا
انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا أَرَاهُمْ جَنَّةً
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢١﴾ (٣) .

أثر هذه الغزوة

لقد كان لهذه الغزوة أثر عظيم في سكان شبه الجزيرة
لا يقل روعة وجلالاً عن أثر فتح مكة ولئن كان فتح مكة
قد نبه العرب إلى حقيقة كانت غائبة عن عقولهم وهي
إدراك الحق الذي بُعث به محمد ﷺ فقد كانت غزوة
تبوك داعية لهم لأن يسرعوا بالدخول في هذا الحق الذي
دعاهم إليه .

(١) سورة التوبة: الآية: (٩٤) .

(٢) سورة التوبة: الآيات: (٩٥-٩٦) .

(٣) نضرة النعيم (١/٣٩٤) .

إن خروج المسلمين بجيش ضخم بلغ تعداد جنوده ثلاثين ألفاً فيهم عشرة آلاف فارس أمر لم تعرفه العرب من قبل في بلادها، أما وقد استطاع المسلمون تجميع هذا الجيش فهم ولا شك قادرون على أن يفعلوا ما عجز عنه غيرهم وتحريك هذا الجيش من المدينة إلى تبوك وهي مسافة هائلة تبلغ قرابة ستمائة ميل وفي وقت عسرة وجدب وفي ذلك النظام وتلك الدقة دليل على عظمة القيادة وجزمها وخبرتها العسكرية الواسعة بشؤون الحرب، وعلى حسن تدريب الجنود وعظيم طاعتهم.

ولقد كان فرار الروم وهم البادئون - وهم في بلادهم، ولجؤهم إلى التحصن داخل البلاد حتى لا يدركهم المسلمون أعظم دليل على قوة المسلمين التي لا يستطيع أحد الوقوف أمامها، فهؤلاء الروم هم الذين هزموا الفرس وأخرجوهم من جنوب الجزيرة واستردوا منهم الصليب المقدس وأعادوه إلى القدس في احتفال رائع... هؤلاء هم الذين فروا وانسحبوا من الميدان عندما

واجهوا المسلمين ، أفلا يكون ذلك دليلاً على قوة المسلمين وقدرتهم على مواجهة أى عدو يهددهم . هذه الأمور مجتمعة حركت نفوس سكان شبه الجزيرة نحو الإسلام^(١) .

الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من المنافقين كانوا قد تخلفوا عن غزوة تبوك إلا أنه كان هناك ثلاثة من المؤمنين الصادقين قد تخلفوا أيضاً عن غزوة تبوك .

فلما عاد النبي ﷺ من الغزوة وجاءه المنافقون يحتالون ويكذبون من أجل أن يعذّرهم النبي ﷺ . فقبل النبي ﷺ اعتذارهم وترك سرايرهم وحسابهم على الله (جل وعلا) .

✦ أما الثلاثة الذين كانوا من المؤمنين الصادقين وهم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع فقد عاقبهم

(١) ناملات في السيرة النبوية لمحمد السيد التوكيل (٢٨٩) .

النبى ﷺ حتى لا يتخلفوا عنه بعد ذلك أبداً وحتى يربيهم تربية إيمانية تجعلهم لا يتأخرون بعد ذلك عن تنفيذ أمر الله وأمر رسول الله ﷺ .

- لقد منع النبى ﷺ المسلمين عن أن يكلموا هؤلاء الثلاثة لمدة أربعين يوماً وبعد الأربعين أمر النبى ﷺ هؤلاء الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم فذهبت زوجة كعب ابن مالك إلى أهلها وكذلك زوجة مرارة ابن الربيع .

أما زوجة هلال بن أمية فقد استأذنت النبى ﷺ فى أن تبقى لخدمة هلال لأنه رجل كبير ومريض فأذن لها النبى ﷺ على ألا يقترب منها زوجها .

- وضافت الدنيا على الثلاثة . . . فلا أحد يكلمهم ولا أحد يزورهم أو يسلم عليهم فشعروا بحزن شديد حتى كادوا أن يموتوا من شدة الحزن .

• وبعد مرور خمسين يوماً على هجر النبى ﷺ وأصحابه لهؤلاء الثلاثة . . . كان كعب بن مالك جالساً على سطح بيته بعد صلاة الفجر فسمع صوت رجل

يصرخ بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر...
يقول كعب: فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء
 الفرج.

فقد كان النبي ﷺ قد أخبر أصحابه بعد صلاة
 الفجر بتوبة الله على كعب بن مالك وصاحبيه... فذهب
 بعض الناس يبشرون هلال بن أمية ومرارة بن الربيع...
 وجاء هذا الرجل ليبشر كعب بن مالك.

يقول كعب: فلما جاءني هذا الرجل يبشرنى بتوبة الله
 علينا نزعته له ثوبين فكسوتهما إياه بهذه البشارة وكنت لا
 أملك غيرهما فاستعرت ثوبين غيرهما وانطلقت إلى
 رسول الله ﷺ... والناس يقابلونني ويهتئونني بالتوبة.
 حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس
 حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى
 صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره.
 فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال

وهو يبرقُ وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك».

فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟

قال: «لا بل من عند الله عز وجل».

وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر.

قال: وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلستُ بين يديه قلتُ: يا رسول الله إن من توبتي أن أترك مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله.

فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».

قال: فقلتُ إنى أمسك سهمى الذى بخبير.

وقلت: يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤١٨) كتاب المغارى، ومسلم (٢٧٦٩) كتاب التوبة.

فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا
حَتَّى إِذَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا
أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
(١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٨﴾

قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطّ بعد إذ
هدانى الله للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله
ﷺ أن لا أكون كذّيبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا.
أبنائى الأعراء: أرايتم كيف أن الصدق يُنجى صاحبه
فى الدنيا والآخرة.

موت رأس المنافقين

وبعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك توفى رأس
المنافقين - عبد الله بن أبى بن سلول - .

(١) سورة التوبة: الآيات: (١١٧-١١٩).

النبي ﷺ يعود في مرضه

« عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي في مرضه نعوذه.
فلما مات أتاه ابنه فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن أبي قد مات، فأعطني قميصك أكفنه فيه، فنزع رسول الله ﷺ قميصه فأعطاه إياه» (١).

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

وعلى الرغم من العداء الذي وجده النبي ﷺ من رأس المنافقين إلا أنه لما علم بموته ذهب إلى قبره فأخرجه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه. . . وليس هذا الأمر بغريب ولا عجيب، فإن النبي ﷺ هو الحبيب الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

« عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٦٩) كتاب اللباس، ومسلم (٢٧٧٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

عبد الله بن أبي بعدما دُفِنَ، فأخرجه فنفت فيه من ريقه،
وألبسه قميصه^(١).

ولا تصل على أحد منهم مات أبداً

« عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما توفي عبد الله بن أبي
ابن سلول، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله
ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم
سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي
عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول

الله! تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿استغفر

لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾^(٢)،

وسأزيده على سبعين» قال عمر: إنه منافق، . . . فصلى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٧٠) كتاب الجنائز - ومسلم (٢٧٧٣) كتاب
صفات المنافقين.

(٢) سورة التوبة: الآية (٨٠).

عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ (١) (٢) .

توحيد الجزيرة العربية

تحت حكم رسول الله ﷺ

تأثر موقف القبائل العربية من الرسول والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة، كان من أبرزها موقف قريش وأحلافها، ولعل بعضها كان يحسب لبني الأصغر - الروم - حساباً، وخاصة تلك القبائل التي سكنت في أطراف الجزيرة الشمالية قريباً من تخوم الروم، فلما كان فتح مكة وما تبع ذلك من إسلام قريش وكسر شوكة هوازن في موقعة حنين، وإذلال ثقيف ومحاصرتها سقط الحاجز الأساسي الأول فبادر كل قوم بإسلامهم، ثم كانت غزوة تبوك وامتداد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع

(١) سورة التوبة؛ الآية: (٨٤).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (١٢٦٩) كتاب الجنائز - ومسلم (٢٧٧٤) كتاب صفات المنافقين.

الروم وعقد المحالفات مع أيلة وأذرح وغيرهما، وتسوية الأمور مع دومة الجندل بالصلح، ثم مصالحة نصارى نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة، ونظراً لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سُمِّي العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود^(١).



(١) سيرة النعمان (١/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

عام الوفود

وبدأت الوفود تأتي إلى النبي ﷺ لتعلن إسلامها وتوحيدها لله (جل وعلا). . . وقد زادت تلك الوفود على سبعين وفداً.

قدوم وفد ثقيف

كان أول الوفود قدوماً إلى النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك هو وفد قبيلة ثقيف.

وقد سبق أن أشرنا إلى إسلام عروة بن مسعود الثقفي على يد رسول الله ﷺ قبيل وصوله المدينة، عند عودته من مكة بعد الفتح، وذكرنا أن النبي ﷺ أمره أن يرجع إلى قومه بالإسلام، وقد فعل ذلك فأظهر لهم دينه، ودعاهم إلى الإسلام، غير أنهم اجتمعوا عليه فرموه بسهامهم وهو يؤذن في أعلى داره فقتلوه، ثم ائتمر زعماء

ثقيف فيما بينهم فوجدوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من قبائل العرب وقد بايعت وأسلمت فأجمعوا على أن يرسلوا إلى النبي ﷺ وفداً (١) .

وهكذا تتابعت الوفود

وهكذا تتابعت الوفود لتعلن التوحيد لله جلّ وعلاً... ولقد ذكرت هنا بعض الوفود لأن المجال لا يسمح بذكر كل الوفود التي جاءت إلى النبي ﷺ . وهكذا كانت السيادة للإسلام على كافة أنحاء الجزيرة العربية في العام التاسع، حيث تمت الوحدة السياسية لجميع أصقاعها تحت رايته، فلقد تمكن النبي ﷺ من تحقيق الوحدة السياسية للجزيرة في أقل من عشر سنوات رغم جميع العراقيل والنزعات القبلية والجاهلية والمشكلات المتنوعة .

* وتتابع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة

(١) نضرة النعيم (١/ ٣٩٦ - ٣٩٧) .

الإسلامية من القبول التام وبسط السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وأن العرب كانت تنظر إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن ترى محيصاً عن الاستسلام أمامها، فقد صارت المدينة عاصمة لجزيرة العرب، لا يمكن صرف النظر عنها، إلا أننا لا يمكن لنا القول بأن الدين قد تمكن من أنفس هؤلاء بأسرهم، لأنه كان وسطهم كثير من الأعراب الجفأة الذين أسلموا تبعاً لسادتهم، ولم تكن أنفسهم قد خلصت بعد مما تأصل فيها من الميل إلى الغارات، ولم تكن تعاليم الإسلام قد هذبت أنفسهم تمام التهذيب، وقد وصف القرآن بعضهم بقوله في سورة التوبة: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧) ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء واللهم سمع عليم ﴿١١﴾ وإثنى على آخرين منهم فقال: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول

(١) سورة التوبة: الأبنان: (٩٧، ٩٨).

ألا إنها قرينة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴿١١﴾ .
 أما الحاضرون منهم في مكة والمدينة وثقيف، وكثير من
 اليمن والبحرين؛ فقد كان الإسلام فيهم قوياً ومنهم كبار
 الصحابة وسادات المسلمين (٢) .

النبي ﷺ يرسل معاذاً وأبى موسى إلى اليمن

عن أبي بردة قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى
 ومُعَاذَ بنِ جَبَلٍ إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما
 ثم قال: «يَسْرًا وَلَا تُعْصِرَا، وَيَشْرَا وَلَا تُنْفِرَا» .
 فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد
 منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به
 عهداً فسلم عليه (٣) .



(١) سورة التوبة: الآية (٩٩).

(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية / للخضري (١/١٤٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٣٤١) كتاب المغازي.

وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» (١).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٤٧) كتاب المغازي - ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

فراق مؤلم

وها هو النبي ﷺ يخبر معاذًا بأنه لن يراه بعد اليوم أبدًا... وكان ما أخبر به النبي ﷺ فلقد ذهب إلى اليمن ومات النبي ﷺ ولم يره معاذ ﷺ.

من حديث عاصم بن حميد السكوني **رضي**: «أن معاذ

ابن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، فخرج النبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ. قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا نلتقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري» فبكى معاذ جشعًا ^(١) لفراق النبي ﷺ ^(٢).



(١) جشعًا: خوفًا وحزنًا.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٤٩)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة

الصحيحة (٢٤٩٧).

حجة الوداع

أعلن رسول الله ﷺ نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء.. والحج هذه المرة جاء مغايراً لما ألفته العرب أيام جاهليتها.

انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحُظر عليهم أن يدخلوا المسجد الحرام.

فأصبح أهل الموسم - قاطبة - من الموحدين الذين لا يعبدون مع الله شيئاً، وأقبلت وفود الله من كل صوب تُبسم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ، هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم!

ونظر النبي ﷺ إلى الألوف المؤلفة من الصحابة وهم يلبون ويسرعون إلى أداء تلك الفريضة فامتلاً قلبه فرحاً وسعادة ﷺ.

* ونخرج بهم النبي ﷺ وأدى مناسك الحج كلها وهو يقول لأصحابه: «خذوا عني مناسككم»^(١).

* ولما انتهى النبي ﷺ وأصحابه من أداء المناسك وقف يخطب في المسلمين قائلاً: «أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»^(٢).

وفي رواية أنه قال: «... ألا لا يجزئني جان إلا على نفسه، ولا يجزئني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه.

ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله.

ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأول دم وضع من دماء الجاهلية دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج باللفظ: «... لتأخذوا مناسككم فإنى لا أدري لعلى لا أحج بعد حجتي هذه».

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل.

ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان - يعنى أسيرات -
عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة
بينته، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير
مبرح، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً.

ألا إن لكم على نساءكم حقاً، ولنساءكم عليكم حقاً، فأما
حقكم على نساءكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن
في بيوتكم من تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن
في كسوتهن وطعامهن»^(١).

• وهكذا وضع النبي ﷺ تلك الأسس الأخلاقية
للمسلمين لكي يتمسكوا بها ويسيروا عليها... فلقد
اكتملت الشريعة ونزل على النبي ﷺ يوم عرفة قول
الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٠٨٧) كتاب تفسير القرآن، وحسنه العلامة الألبانى

في صحيح الجامع (٧٨٨).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣).

وصيته ﷺ عند عودته إلى المدينة

« عن زيد بن أرقم **رضي الله عنه** قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر. **ثم قال:** «أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(١).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٨ - ٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

كانت كبرياء دولة الروم قد جعلتها تأبى أن يكون للإسلام وجود في أي بقعة في أرضها . . . وحملها ذلك على أن تقتل من أتباعها من يدخل فيه، كما فعلت بفروة بن عمرو الجذامي الذي كان ولياً على معان من قبل الروم. ونظراً إلى هذه الجراءة والغطرسة أخذ رسول الله ﷺ يجهز جيشاً كبيراً في صفر سنة ١١ هـ وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، يبغي بذلك إرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضارين على الحدود، حتى لا يحسب أحد أن بطش الكنيسة لا مُعقب له، وأن الدخول في الإسلام يجر على أصحابه الخوف فحسب. وتكلم الناس في قائد الجيش لحداثة سنه، واستبظأوا في بعثه^(١).

(١) الرحيق، المختوم (ص: ٥٠٣).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله لقد كان خليقًا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده» (١).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥٠) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٢٦) كتاب فضائل الصحابة.

مرض الرسول ﷺ ووفاته

✽ إن الأحداث العظيمة تسبقها بعض العلامات التي تشير إلى قرب وقوعها.

وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقر بالإسلام أو تعطي الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وأرهب جيشُ العسرة الذي خرج به النبي ﷺ جحافل الروم حتى فرّوا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي ﷺ المتواصل وصحابته الكرام رضي الله عنهم، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك^(١).

(١) وفقات تربوية (ص: ٤٠٣).

« ويا لها من لحظات عصبية عندما أحمل قلمي
لأسطرّ به تلك الصفحات التي تحكي قصة مرض وموت
النبي ﷺ .

فموت النبي ﷺ من أعظم المصائب التي أصيب بها
المسلمون ولذلك قال ﷺ : «إذا أصاب أحدكم مصيبة
فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب»^(١).



(١) صحيح: رواه الدارمي (٨٤) في المقدمة، ومصحح العلامة الألباني في
السنة الصحيحة (٦-١١).

العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ

ولقد سبق موت النبي ﷺ علامات تشير إلى قرب
انتهاء أجله ﷺ فمن بين ذلك :
أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان
فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل
يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة
مرتين .

« ومن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه
رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله
ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي
تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا
تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري
فبكي معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل
بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من

كانوا وحيث كانوا» (١).

« وخرج النبي ﷺ للحج في السنة العاشرة وقال:
«خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق
يودع الناس» (٢).

ونزل عليه بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣).

« وفي ثاني أيام التشريق نزل عليه قوله عز وجل: ﴿إذا
جاء نصر الله والفتح (١) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا (٢)
فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ (٤).

- فكانت هذه السورة تخبر بانتهاء أجل النبي ﷺ
وتنعي إليه نفسه.

« ومن هذه العلامات أنه ﷺ خرج إلى أحد فصلى

(١) رواه أحمد (٢٣٥/٥) قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين
رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقاتان - مجمع
الزوائد (٢٢/٩).

(٢) سبق تخرجه.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٤) سورة النحر: الآيات: (٣-١).

على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات.

* ومن هذه العلامات كثرة تتابع الوحي على رسول الله ﷺ .

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ كان يُرغبهم في كثرة ملازمته والجلوس إليه قبل أن يُحرّموا ذلك، ويتمنى أحدهم لو رآه بأهله وماله.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفس محمد بيده لياتين على أحدكم يوم ولا يرانى، ثم لأن يرانى أحب إليه من أهله وماله معهم» (١).

فأولوه على أنه نعى نفسه إليهم وعرفهم ما يحدث لهم بعده من تمنى لقائه عند فقدهم ما كانوا يشاهدون من بركاته عليه السلام.

* ومن هذه الإشارات زيارته لأهل البقيع واستغفاره لهم:

*** عن أبي موهبة مولى رسول الله ﷺ قال:** «بعثنى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٤) كتاب الفضائل.

رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معى»، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم، قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل على». فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة».

قال: فقلت: بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: «الا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه» (١).



(١) رواه أحمد (١٥٥٦٧) والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

بداية مرضه ﷺ

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ وكان يوم الاثنين - شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذته صداع في رأسه، وارتفعت درجة حرارة النبي ﷺ... فدخل على عائشة فوجدتها تقول: واراساء.

فقال: «بل أنا والله يا عائشة واراساء».

ثم أخذ المرض يشتد برسول الله ﷺ حتى ازداد عليه ثقل المرض وهو في بيت ميمونة... فدعا النبي ﷺ نساءه واستأذنه في أن يُمرَّض في بيت عائشة فأذن له جميعاً.

ويدخل عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فوجد النبي ﷺ وقد اشتد عليه المرض فقال له: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكاً شديداً.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل: إنى أوعك كما يوعك

رجالان منكم».

قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين .

فقال رسول الله ﷺ: «أجل»^(١).

وطلب النبي ﷺ منهم أن يسكبوا عليه سبع قرب من الماء فأحضروا ماءً كثيراً وأخذوا يصبوا عليه الماء حتى زالت عنه بعض الحرارة ﷺ .

وقام النبي ﷺ يخطب في الناس وينعى نفسه إليه فقال:

«إن عبداً خيَّره الله بين زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده؛ فاختار ما عند الله» .

ولم يفهم أحدٌ من الصحابة أن هذه لحظات الوداع، إلا أبو بكر الذي بكى وقال:

قَدِينَا يَا بَائِنَا وَأُمَهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٢) .



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البير والصلة والأداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٠٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ قبل وفاته

وها هو الحبيب ﷺ يوصي أصحابه ﷺ والامة من بعدهم بتلك الوصايا الغالية .

فأوصاهم النبي ﷺ بعدم اتخاذ القبور مساجد .

وأوصاهم بإغلاق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر .

وأوصاهم بالانصرار خيراً .

وأوصاهم بالصلاة وبالرفق بالنساء .

فمن على ﷺ قال: «كان آخر كلام رسول الله ﷺ :

«الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم»^(١) .

إلى غير ذلك من الوصايا التي أوصاهم بها رسول الله

ﷺ .



(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٦) كتاب الادب، وصححه العلامة الآلباني في صحيح الجامع (٤٦١٦).

مروا أبا بكر فليصل بالناس

والنبي ﷺ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالرسالات. وعند العشاء زاد ثقل المرض بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد.

عن عائشة رضيها قالت: «ثقل النبي ﷺ فقال: «أصلي الناس؟».

قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله.

قال: «ضعوا لي ماءً في المخضب».

قالت: ففعلنا. فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: «أصلي الناس؟».

قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله.

فقال: ضعوا لي ماءً في المخضب.

قالت: ففعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟».

فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله.

فقال: «ضعوا لى ماءً فى المخضب» ففعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟».

فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله... والناس عكوف فى المسجد ينتظرون النبى عليه السلام لصلاة العشاء الآخر - فارسل النبى ﷺ إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك. فصلى أبو بكر تلك الأيام^(١).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧) كتاب الاذان - ومسلم (٩٠ / ٤٦٨) كتاب الصلاة.

قبل الوفاة بيوم

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي ﷺ غلمانته، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جاريتها، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير^(١).



(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٧) ومسلم (١٦٠٣) والنسائي (٢٨٨/٧).

النبي ﷺ يدعو لأسامة بن زيد

وعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه علىّ ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي ^(١).



(١) رواه الترمذي (٣٨١٧) وأحمد (٢٠١/٥) وابن هشام (٦٥١/٢)، وحسنه الشيخ مصطفى العدوي في الصحيح المستند من فضائل الصحابة.

آخر يوم في حياة النبي ﷺ

وخرج النبي ﷺ في صبح اليوم الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبه وأحبهم نظرة وداع فكادوا يفتنون من الفرح به ﷺ ظناً منهم أنه ﷺ قد عوفى من مرضه ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقى بهم على حوضه وفي جنة الله عز وجل... ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين - وهم صفوف في الصلاة - كشف النبي ﷺ ستر الحجر، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا

النبى ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه^(١) . ثم تأت على النبى ﷺ صلاة أخرى^(٢) .
 * وكان الله تعالى أراد أن يُطمئن النبى ﷺ على كمال انقياد أمته وحسن اتباعها فأشهدته آخر وقت حضره وهو فى الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الاثنين الذى قُبض فيه، واصطفوا لصلاتهم خشعاً مخبتين، وراء إمام رقيق التلاوة فياض الإخلاص، ورفع النبى ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة، وفتح الباب وبرز للناس .

فكاد المسلمون يُفتنون فى صلاتهم ابتهاجاً برؤيته، وتفرجوا يُفسحون له مكاناً فأشار بيده: أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم فرحاً من هيئتهم فى صلاتهم .

قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة

منه فى تلك الساعة .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٠) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٩) كتاب الصلاة.

(٢) نقلاً من وقفات تربوية (ص: ٤١٢) للدكتور أحمد فريد.

ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه، واطمأن أبو بكر لهذا الظن، فرجع إلى أهله بالسنح - في ضواحي المدينة .
قالت عائشة: وعاد رسول الله من المسجد، فاضطجع في حجرى^(١) .

النبي ﷺ ينعى نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)

عن عائشة رضيها الله عنها قالت: «اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم تغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ» .

قال: «مرحبا بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله .
 ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة .
 ثم إنه سارها فضحكت أيضاً .
فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن .

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٨) .

فقلت لها حين بكت: أحصك رسول الله ﷺ

بحديثه دوننا ثم تبكين؟

وسألها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول

الله ﷺ .

حتى إذا قبض سألها فقالت: إنه كان حدثني: «أن

جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في

العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلى، وإنك أول أهلي

لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك» فبكيت لذلك .

ثم إنه سارني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء

المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك» (١) .



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٢٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

ليس على أبيك كرباً بعد اليوم

وعن أنس قال: لما نقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أبتاه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»^(١).

شدة تأثر النبي ﷺ بالتعام المسموم (يوم خيبر)

* ودعا النبي ﷺ الحسن والحسين فقبَّلهما وأوصى بهما خيراً ثم دعا أزواجه فوعظهن وذكرهن بالله (عز وجل).

وأحسَّ رسول الله بأثار السم يوم خيبر تجرى في جسده، فاشتد الوجع والألم عليه، وهو يقول: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات»^(٢).



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغاري - واحمد (٣/٤٠٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٤٩) كتاب المغاري.

اللهم الرفيق الأعلى

ثم نزل جبريل عليه السلام يقول:

يا محمد إن ربك إليك مُشتاق، وإنه قد بعث معي ملك الموت يستأذن عليك وما استأذن على أحد قبلك، ولن يستأذن على أحد بعدك، وهذا آخر عهدى بالدنيا ولن أهبط إلى الأرض بعد ذلك على أحد من بعدك.
فقال رسول الله ﷺ: «وأنا مُشتاق إلى ربي».

ثم نظر إلى السماء، وتحركت شفثاه قائلاً:
«مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى».

وغمضت عيناً رسول الله، وسكت صوته، وصعدت روحه لمولاه، وأن للجسد المتعب أن يستريح، ولرسول الله أن يعيش بروحه في السماء بجوار ربه ومولاه، فإننا لله

وإنا إليه راجعون .

وأظلمت أرجاء المدينة بعد أن كانت مُنيرة برسول الله
حتى قال أنس بن مالك رضي الله عنه : ما رأيت يوماً قطُّ كان
أحسنَ ولا أضوأ من يوم دخل علينا رسول الله ، وما
رأيت يوماً كان أقبحَ ولا أظلم من يوم مات فيه رسول
الله . . (١)



(١) حياة محمد (ص : ٢٥٣ : ٢٥٥) .

وهكذا فاضت أظھر روح من أظھر جسد

وتسرب النبا الفادح من البيت المحزون.
وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت، لا يدرون ما
يفعلون.

ووقف عمر بن الخطاب - وقد أخرجہ الخبر عن وعیہ -
يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله
توفى، وإن رسول الله ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما
ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة. ثم
رجع بعد أن قيل قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدي
رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات^(١)!

ولما علمت فاطمة (عليها السلام) بموته ﷺ قالت:
يا أبتاه أجا ب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا
أبتاه إلى جبريل نعاہ، فلما دفن قالت فاطمة عليها

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٩).

السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب^(١).

موقف أبي بكر

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها.

ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر.

فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر.

فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً

ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) المغازي - وأحمد (٢٠٤/٣).

الله حتى لا يموت. قال الله: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ (١١).

قال ابن عباس: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها. وهكذا مات رسول الله ﷺ ولكن سنته باقية إلى يوم القيامة وستبقى سيرته دماءً حية تنبض في العروق ونحيا بها القلوب وستبقى لترسم لنا جميعاً منهج حياة طيبة يسعد بها المسلم في الدنيا والآخرة.. بشرط أن يتعايش مع سيرته وسنته بقلبه وجوارحه.

ابن أبي الأحباء: هكذا قصصت عليكم سيرة الرسول ﷺ فتمسكوا بسنته واعرفوا سيرته لتسعدوا في الدنيا بنعمة الاتباع وفي الآخرة بصحبته ﷺ في تلك الجنة التي أعدها لكم الرحمن (جل جلاله).. تلك الجنة التي

(١١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك.

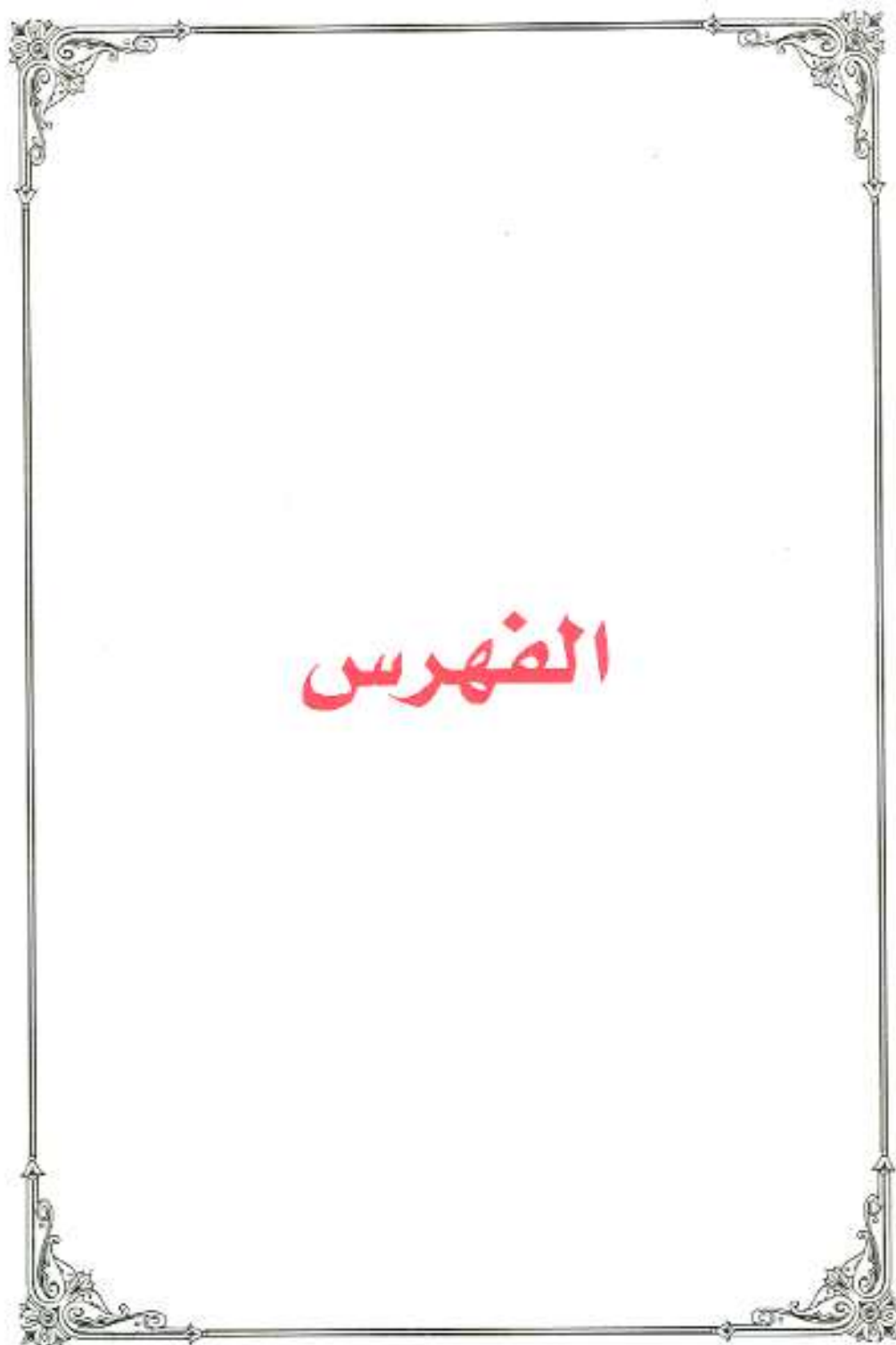
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عضو الرحيم الغفار

عمو / محمود المصرى

أبو عمار



الفهرس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	* مقدمة الناشر
٨	* بين يدي الكتاب
١١	* ومن هنا كانت البداية
	* حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الحبيب
١١	ﷺ
١٢	(١) شرب الخمر
١٢	(٢) القمار المعروف بالميسر
١٢	(٣) وأد البنات
١٢	(٤) قتل الأولاد
١٣	(٥) تبرج النساء
١٣	(٦) العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء
١٣	(٧) شن الحروب على بعضهم البعض
١٤	(٨) عبادة الأصنام

- * العادات الحسنة التي كانت في المجتمع الجاهلي ١٥
- * مكة تنهياً لاستقبال النبوة ١٧
- * قصة حفر زمزم ١٨
- * قصة نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه . ٢١
- * زواج عبد الله من أمنة بنت وهب ٢٥
- * قصة أصحاب الفيل ٢٧
- * ميلاد النبي ﷺ ٣٩
- * استبشار عبد المطلب بميلاد حفيده المبارك . ٤١
- * قصة رضاع الحبيب ﷺ ٤٣
- * حادثة شق الصدر ٤٩
- * فراق مؤلم ٥٢
- * وفاة أمه (عليه الصلاة والسلام) ٥٢
- * وفاة جده عبد المطلب ٥٥
- * وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت . . . ٥٦
- * ويزداد الحب يوماً بعد يوم ٥٧

- * النبي ﷺ يرعى الغنم ٥٨
- * قصة بحيرا الراهب ٥٩
- * الله يعصم نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية . ٦٢
- * حرب الفجار ٦٤
- * حلف الفضول ٦٦
- * مكانة النبي ﷺ بين قومه ٦٨
- * زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها ٧٠
- * أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين) ٧٦
- * أولاد النبي ﷺ ٨٠
- * النبي ﷺ يشارك في بناء الكعبة ٨١
- * شمس النبوة تُشرق على أرض الجزيرة ٨٤
- * وفاة ورقة بن نوفل ٨٩
- * النبي ﷺ يرى جنة أو جنتين لورقة بن نوفل ٨٩
- * حزن النبي ﷺ لفتور الوحي ٩٠
- * الدعوة السرية ٩١

- * الجهر بالدعوة ٩٤
- * وأنذر عشيرتك الأقربين ٩٤
- * وفد قريش إلى أبي طالب ٩٦
- * موقف جليل لأبي طالب وقومه ٩٨
- * النبي ﷺ يستمر في دعوته ٩٩
- * إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ ١٠٠
- * ما حدث لأبي بكر ﷺ ١٠٠
- * ما حدث لعثمان ﷺ ١٠١
- * ما حدث لمصعب بن عمير ﷺ ١٠٢
- * ما حدث لأبي ذر ﷺ ١٠٢
- * تعذيب الموالى ١٠٣
- * بلال يردد نشيده الخالد: أحدٌ أحدٌ ١٠٣
- * اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ١٠٤
- * وكان حظ (خَبَاب) من العذاب كبيراً ١٠٥
- * تسليط الأذى على النبي ﷺ ١٠٦
- * إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ ١٠٦

- * إيذاء أبي لهب للنبي ﷺ ١٠٧
- * وامراته حمالة الخطب ١٠٨
- * كيف كانت نهاية أبي لهب ١١٠
- * نهاية أم جميل (زوجة أبي لهب) ١١١
- * إيذاء عقبة بن أبي معيط للنبي ﷺ ١١٢
- * إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ﷺ ١١٥
- * إن إسلام (عمر) كان فتحاً ١١٧
- * المشركون يعرضون على النبي ﷺ المال
والمنصب ١١٨
- * الهجرة الأولى إلى الحبشة ١٢١
- * مفاجأة لا تخطر على البال ١٢٢
- * الهجرة الثانية إلى الحبشة ١٢٤
- * الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة ١٢٦
- * نقض الصحيفة الظالمة ١٢٧
- * عام الحزن ١٢٩
- * زواج النبي ﷺ بسودة ثم عائشة ﷺ ١٣٤

- * النبي ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف .. ١٣٩
- * لماذا اختار النبي ﷺ الطائف؟ ١٣٩
- * إسلام نفر من الجن في وادي نخلة ١٤٦
- * قصة الإسراء والمعراج ١٤٧
- * رحلة الإسراء والمعراج كانت تكريمًا
- * لشخص النبي ﷺ ١٤٧
- * رحلة الإسراء وشق صدر النبي ﷺ .. ١٤٨
- * النبي ﷺ يركب البُرَاق ١٤٩
- * رحلة المعراج ١٥١
- * المشاهد التي رآها النبي ﷺ في رحلة
- * الإسراء والمعراج ١٥٢
- * النبي ﷺ يرى الأنبياء ويسلم عليهم .. ١٥٢
- * النبي ﷺ يرى سدرة المنتهى ١٥٨
- * فرض الصلاة على النبي ﷺ وأُمَّته .. ١٥٩
- * رؤية النبي ﷺ لمالك خازن النار
- * والمسيح الدجال ١٦١

- * رؤية النبي ﷺ للذين يفتابون الناس . . ١٦٢
- * رؤية النبي ﷺ لخطباء أمته الذين يقولون ما لا يفعلون ١٦٢
- * مرور النبي ﷺ على رائحة ماشطة ابنة فرعون ١٦٢
- * النبي ﷺ يرى الجنة والنار ١٦٦
- * هبوط النبي ﷺ إلى بيت المقدس . . . ١٦٦
- * قريش تكذب النبي ﷺ ١٦٧
- * موقف أبي بكر الصديق من رحلة الإسراء والمعراج ١٦٨
- * النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل . . . ١٦٩
- * إسلام ست نسمات من أهل يثرب ١٧٠
- * بيعة العقبة الأولى ١٧٣
- * سفير الدعوة الأول إلى المدينة ١٧٤
- * بيعة العقبة الثانية ١٧٥
- * شيطان يكشف المعاهدة ١٧٦

- * ١٧٧..... الهجرة من مكة إلى المدينة
- * ١٧٨..... لماذا الهجرة إلى المدينة؟
- * ١٧٩..... النبي ﷺ يأذن لأصحابه بالهجرة
- * ١٨١..... اجتماع طارئ في دار الندوة
- * على ﷺ ينام مكان النبي ﷺ في ليلة
- الهجرة..... ١٨٢
- * وبدأت هجرة الرسول ﷺ..... ١٨٥
- * محبة تفوق الخيال..... ١٨٩
- * قصة سراقه بن مالك..... ١٩١
- * قصة أم معبد الخزاعية..... ١٩٢
- * وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة..... ١٩٤
- * النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء..... ١٩٦
- * فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ..... ١٩٧
- * نزول النبي ﷺ في دار أبي أيوب
- الأنصاري..... ١٩٨
- * وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ..... ١٩٩

- * ٢٠١. بناء مسجد النبي ﷺ
- * ٢٠٢. حنين الجذع للنبي ﷺ
- * ٢٠٣. ربح البيع أبا يحيى
- * ٢٠٤. كيف أسس النبي ﷺ للإسلام دولة .
- * ٢٠٤. (١) صلة الأمة بربها
- * ٢٠٥. (٢) صلة الأمة بعضها ببعض الآخر
- * (٣) صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لا يدينون
دينها ٢٠٦.
- * الإذن بالقتال ٢٠٩.
- * غزوة بدر الكبرى ٢١٢.
- * ثم غزوة بواط ٢١٢.
- * ثم غزوة بدر الأولى (الصغرى) ٢١٣.
- * غزوة العشيرة ٢١٣.
- * ومن هنا كانت البداية لغزوة بدر الكبرى . ٢١٤.
- * أول وقود المعركة ٢٢٣.
- * وبدأت بعد ذلك أحداث المعركة ٢٢٣.

- * ٢٢٥ الله (عز وجل) يؤيدهم بملائكته
- * ٢٢٧ مصرع أبي جهل
- * ٢٢٨ أئمة الكفر يُقَدِّفون في القليب
- * ٢٢٩ قتل النضر بن الحارث
- * قتل عقبة بن أبي معيط (في طريق العودة
- إلى المدينة) ٢٣٠
- * بشائر النصر تصل إلى المدينة المنورة ٢٣١
- * وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ ٢٣٢
- * فداء الأسرى ٢٣٢
- * رحمة للعالمين ٢٣٣
- * فضل من شهد بدرًا من المسلمين ٢٣٣
- * في أعقاب بدر ٢٣٤
- * إجلاء يهود بنى قينقاع ٢٣٥
- * غزوة أحد ٢٣٦
- * النبي ﷺ يستشير أصحابه ٢٣٨
- * جحافل الشرك تتحرك ٢٣٩

- * العباس يخبر النبي ﷺ بتحركات
المشركين ٢٤٠
- * الحالة في المدينة ٢٤٠
- * وخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش ٢٤١
- * انخدال المنافقين ورجوعهم ٢٤٢
- * الجيش الإسلامي يواصل سيره إلى العدو ٢٤٢
- * خطة رائعة للنبي ﷺ ٢٤٢
- * من يأخذ هذا السيف بحقه ٢٤٤
- * غلطة الرماة التي غيرت سير المعركة ٢٤٥
- * دفاع عن الرسول ﷺ ٢٤٦
- * النبي ﷺ يتثبت من عودة المشركين
إلى مكة ٢٤٩
- * من نواذر الحب والتضحية ٢٥٠
- * غزوة حمراء الأسد ٢٥١
- * يوم الرجيع ٢٥٢
- * تفاصيل يوم الرجيع ٢٥٤

- * ٢٥٥ احفظ الله يحفظك
- * ٢٥٧ حادثة بئر معونة
- * ما الذي فعله (عمرو بن أمية) في طريق
عودته ٢٥٩
- * ٢٦٠ النبي ﷺ يدعو على قتلة القراء
- * ٢٦١ غزوة بني النضير
- * ٢٦٢ غزوة بدر الثانية
- * ٢٦٤ غزوة بني المصطلق
- * كان إسلامها وزواجها سبباً في حصول
الخير لقومها ٢٦٦
- * ٢٦٨ غزوة الخندق (الأحزاب)
- * ٢٦٩ حفر الخندق
- * ٢٧٠ معجزة الرسول ﷺ في حفر الخندق
- * ٢٧١ الطعام المبارك لجابر بن عبد الله رضيه
- * موقف المؤمنين والمنافقين عند رؤية
الأحزاب ٢٧٢

- ٢٧٥ * خيانة اليهود
- ٢٧٦ * والله لا نعطيهم إلا السيف
- ٢٧٧ * محاولة فاشلة . . . ومبارزة ماهرة
- ٢٧٧ * خيانة اليهود
- ٢٧٨ * نعيم بن مسعود . . . ودوره الخالد
- ٢٨٢ * الدعاء مفتاح النصر
- ٢٨٣ * الآن نغزوهم ولا يغزونا
- ٢٨٤ * غزوة بني قريظة
- * النبي ﷺ يحاصرهم . . وكعب بن أسد
- ٢٨٥ * يشاورهم
- ٢٨٧ * دعوه حتى يتوب الله عليه
- ٢٨٨ * لقد حكمت فيهم بحكم الله
- ٢٩٠ * إسلام بعض يهود بني قريظة
- ٢٩٠ * تنفيذ الحكم في يهود بني قريظة
- ٢٩١ * عرش الرحمن يهتز لموت سعد بن معاذ
- ٢٩٢ * صلح الحديبية

- * ٢٩٤..... تخلف المنافقين عن الخروج
- * ٢٩٥..... المسلمون يتحركون إلى مكة
- * ٢٩٦.. محاولة قريش صد المسلمين عن البيت
- * ٢٩٧..... معجزات النبي ﷺ في الحديبية
- * ٢٩٧..... قريش تتفاوض مع النبي ﷺ
- * النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى قريش
- * ٢٩٨..... إشاعة مقتل عثمان... وبيعة الرضوان
- * ٢٠٠..... بيعة الرضوان
- * ٢٠١..... سهل لكم من أمركم
- * ٢٠٢..... شروط الصلح وبنوده
- * ٢٠٤..... اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح
- * ٢٠٥..... قصة أبي بصير رضوانه
- * ٢٠٧..... كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً
- * ٢١٠..... مكاتبة الملوك والأمراء
- * ٢١١..... غزوة خيبر
- * ٢١٢.....

- ٣١٤ * المسير إلى خيبر
- ٣١٥ * رأس المنافقين يخبر اليهود بمقدم النبي ﷺ
- ٣١٧ * الجيش الإسلامي يتحرك إلى أسوار خيبر.
- ٣١٨ * وأمرهم شورى بينهم
- ٣١٩ * حصون خيبر
- * صاحب الراية الذي يفتح الله على يديه
- ٣٢١ * حصون خيبر
- ٣٢٢ * (على) يقتل (مرحب اليهودي)
- ٣٢٤ * تقسيم الغنائم
- ٣٢٥ * إن تصدق الله بصدقك
- * النبي ﷺ يتزوج صفية بنت حبي بن
- ٣٢٦ * أخطب
- ٣٢٧ * في بيت النبوة
- ٣٢٨ * يهودية تضع للنبي ﷺ شاة مسمومة ..
- ٣٢٩ * قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعريين ..
- ٣٣٠ * غزوة ذات الرقاع

- * ٣٣٠..... جئتكم من عند خير الناس
- * ٣٣٢..... أثر هذه الغزوة
- * ٣٣٣..... عمرة القضاء
- * النبي ﷺ يأمرهم بالجرى الخفيف ليرى
- * ٣٣٤..... المشركون قوتهم
- * ٣٣٥..... النبي ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها
- * المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن
- * ٣٣٦..... يخرج من مكة
- * إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد
- * ٣٣٧..... وعثمان بن أبي طلحة
- * ٣٤١..... سرية مؤتة
- * ٣٤١..... تعيين القادة الثلاثة
- * ٣٤٢..... أهل المدينة يودعون الجيش
- * ٣٤٢..... المفاجأة الكبرى
- * ٣٤٤..... وبدأ القتال
- * ٣٤٧..... النبي ﷺ ينعي القادة الثلاثة للناس

- ٣٤٧ * أثر المعركة
- ٣٤٨ * حزن النبي ﷺ على جعفر رضي الله عنه
- ٣٥٠ * فتح مكة
- ٣٥٠ * ندم وأسف
- ٣٥١ * الاستعداد لفتح مكة
- ٣٥١ * رسالة حاطب بن أبي بلتعة لأهل مكة ..
- ٣٥٣ * النبي ﷺ يخرج لفتح مكة
- قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد
الله بن أبي أمية
- ٣٥٤ * قصة إسلام أبي سفيان
- ٣٥٧ * تواضع النبي ﷺ
- * النبي ﷺ يطهر المسجد الحرام من
الأصنام
- ٣٥٨ * النبي ﷺ يصلى داخل الكعبة ويعفو
عن قريش
- ٣٥٩ * اليوم يوم بر ووفاء
- ٣٦٠ * اليوم يوم بر ووفاء

- ٣٦٠ بلال يؤذن فوق الكعبة *
- ٣٦١ إسلام والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه *
- ٣٦٢ أخذ البيعة *
- ٣٦٢ السرايا والبعوث *
- ٣٦٢ غزوة حنين *
- ٣٦٤ خروج المشركين للغزوة *
- ٣٦٥ وأنزل جنوداً لم تروها *
- النبي ﷺ يرسل إليهم (عبد الله بن أبي
حدرد) ٣٦٦ *
- النبي ﷺ يستعير الدروع من صفوان بن
أمية ٣٦٧ *
- الجيش الإسلامي يتحرك ٣٦٨ *
- النبي ﷺ يبشرهم بغنائم حنين ٣٦٩ *
- مفاجأة لم تخطر على بالهم ٣٧٠ *
- أين أصحاب السمرة؟ ٣٧٢ *
- اللهم أنزل نصرك ٣٧٢ *

- * ٣٧٥ من قتل كافراً فله سلبه
- * ٣٧٦ الغنائم
- * ٣٧٧ غزوة الطائف
- * ٣٧٨ الأحداث التي كانت في الطائف
- * ٣٨٠ من بلغ بسهم فله درجة في الجنة
- * ٣٨٠ النبي ﷺ يعتق كل من نزل من الحصن
- * ٣٨١ النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية
- * ٣٨٢ تقسيم الغنائم
- * ٣٨٢ موقف مؤثر بين النبي ﷺ والأنصار
- * ٣٨٥ قدوم وفد هوازن
- * ٣٨٥ كان إسلام (هوازن) نصراً
- * ٣٨٧ غزوة تبوك
- * ٣٨٨ تجهيز جيش العُسرة
- * ٣٩٠ أعذار المنافقين
- * ٣٩٢ البكاءون
- * ٣٩٣ الجيش الإسلامي يتحرك إلى تبوك

- * ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ ٣٩٤
- * مرورهم على ديار ثمود ٣٩٥
- * النبي ﷺ يدعو... والسماء تمطر بإذن الله ٣٩٦
- * الماء ينهمر من عين تبوك ٣٩٨
- * كُنْ أبا خيثمة ٣٩٨
- * رحم الله أبا ذر ٤٠٠
- * المصالحة وإعطاء الجزية ٤٠١
- * عاقبة الاستهزاء بدين الله (عز وجل) وبرسوله ﷺ ٤٠٣
- * محاولة اغتيال النبي ﷺ ٤٠٤
- * النبي ﷺ يخبر حذيفة بأسماء المنافقين ٤٠٤
- * استقبال حافل ٤٠٥
- * موقف النبي ﷺ من المنافقين ٤٠٦
- * أثر هذه الغزوة ٤٠٧

- * ٤٠٩... الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك
- * ٤١٣... موت رأس المنافقين
- * ٤١٤... النبي ﷺ يعود في مرضه
- * ٤١٤... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
- * ٤١٥... ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً
- * توحيد الجزيرة العربية تحت حكم رسول الله ﷺ
- * ٤١٦... عام الوفود
- * ٤١٨... قدوم وفد ثقيف
- * ٤١٨... وهكذا تابعت الوفود
- * ٤١٩... النبي ﷺ يرسل معاذاً وأبى موسى إلى اليمن
- * ٤٢١... وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل
- * ٤٢٣... فراق مؤلم
- * ٤٢٤... حجة الوداع
- * ٤٢٧... وصيته ﷺ عند عودته إلى المدينة

- * ٤٢٨ . . . بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين . . .
- * ٤٣٠ مرض الرسول ﷺ ووفاته
- * العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء
- أجله ﷺ ٤٣٢
- * ٤٣٦ بداية مرضه ﷺ
- * الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ قبل
- وفاته ٤٣٨
- * ٤٣٩ مروا أبا بكر فليُصلّ بالناس
- * ٤٤١ قبل الوفاة بيوم
- * ٤٤٢ النبي ﷺ يدعو لأسامة بن زيد
- * ٤٤٣ آخر يوم في حياة النبي ﷺ
- * النبي ﷺ ينعى نفسه إلى فاطمة (عليها
- السلام) ٤٤٥
- * ٤٤٧ ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم
- * شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم
- (يوم خيبر) ٤٤٧

* اللهم الرفيق الأعلى ٤٤٨ *

* وهكذا فاضت أظهر روح من أظهر جسد ٤٥٠ *

* موقف أبي بكر رضوان الله عليه ٤٥١ *

* الفهرس ٤٥٧ *

* * *